وجه في الظلام

مختارات من القصة البوليسية العالمية

مجموعة كتاب

الكتاب: وجه في الظلام

الكاتب: مجموعة كتاب

الطبعة: ٢٠٢٠

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة
جمهورية مصر العربية
هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥
فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

APA

E-mail: news@apatop.comhttp://www.apatop.com

دار الكتب المصرية
فهرسة أثناء النشر

وجه في الظلام/ مجموعة كتاب
– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.
١٨٠ ص، ١٨*٢١ سم.
الترقيم الدولي: ٥ – ٩٩ – ٦٧٧٤– ٩٧٧– ٩٧٨
أ – العنوان رقم الإيداع : ٥٨٣٦ / ٢٠٢٠

وجه في الظلام





ورقة الشاي

ألفريد هيتشكوك

تقابل آرثر كليستون، وهاف ويلتون، في الحمام التركي في شارع الدوق، وافترقا بعد تلك المقابلة مدة تزيد على العام كلاهما كان سيئ المزاج؛ فكليستون مشاكس وويلتون عنيف، ومن الصعب تحديد أيهما أكثر سوءًا في مزاجه عن الآخر. تمت صداقتهما فجأة، لم أكن أتوقع استمرار تلك الصداقة أكثر من ثلاثة أشهر إلا أنها امتدت أكثر من سنة كاملة تقريبا.

كان موضوع خلافهما ابنة كليستون (روث) خطيبة ويلتون سابقا؛ فقد فسخت الخطوبة بعد ستة أشهر فقط، على شدة حب كل منهما للآخر، ولم يبديا سببا معقولا للانفصال. وأغلب الظن أن (ويلتون) كشف لـ (روث) عن مزاجه الشيطاني اللعين. كانت روث متميزة عن أفراد أسرتها وتشبه والدتها: سمراء ذات أنف مستقيم وعيون بنية معتمة من النوع الجذاب، شعرها بني غامق، وشفتاها من أجمل ما رأيت.

إنها مغرورة ومعتدة بذاتها، جريئة، ذات مزاج خاص، تستطيع أن تتكيف به مع ذلك المشاكس ويلتون، والغريب في الأمر أنه على محاولته السيطرة عليها إلا إنها مولعة به، وربما كانت المخلوق الوحيد

في العالم الذي يولع به. كان خبيرا في تطبيق واستعمال الاكتشافات العلمية في مجال الصناعة وكانت تساعده في مخبره مقابل راتب قدره خمسمائة ليرة في السنة، فمن الطبيعي أن تكون سعيدة.

كان لفسخ الخطوبة وقع شديد عليهما معا، وأعتقد أن ويلتون حملها على أن تنكث بالعهد، فقدت روث بعد فسخ الخطوبة الكثير من حيويتها وجمالها، أما ويلتون فقد ساءت حالته عن ذي قبل، أصبح كالدب الذي يؤلمه رأسه على الدوام.

حاولت التماس طريقة لإصلاح ما بينهما لكني لم أفلح. لقد خسرا بعضهما تماما، وكم كانت سعادتهما عظيمة فيما لو تخيلنا عن غرورهما الغبي وعادا.

بذل كليستون قصارى جهده ليبقى روث على خلافها مع ويلتون. قلت له في إحدي الليالي: على أن الأمر لا يعنيني إلا أنني لا أقيم وزنا لمزاجه، بأنه من الحمق تدخله فيما لا يعنيه، ومن الافضل أن يتركهما وشأنهما. لقد أزعجه كلامي بالطبع وأخذ ينعت ويلتون بأقذع الشتائم، وكانت تبدو عليه علائم اليأس والعلة.

وفي ثورة غضبه سعى كليستون جاهدا لإيذاء ويلتون وفضحه في نواديه، في أثينا ودوفونشير وسافيل، فكان يحول أي حديث نحوه ببراعة، ثم ينعته بالوغد من الطراز الأول، آذى ذلك ويلتون كثيرا إلا أنه لم يكن إيذاؤه ليصل القدر الذي أراده كليستون؛ ف (ويلتون) خبير بعمله

أكثر من أي مهندس آخر، ومن الصعب تشويه سمعة امرئ متمكن من عمله وعلمه. ولم يكن يغيب عن ويلتون ما يفعله كليستون.

كان ويلتون خبيرا في عمله في الجسور الحديدية التي ارتفعت فملأت سماء لندن، كما كان كليستون متألقا في معمله، كانا متشابهين في العقلية والمزاج السيء إلى جانب اشتراكهما بطريقة تفكير واحدة، ووتيرة واحدة. صمما على الاستمرار في أسلوب حياتهما مع فسخ الخطوبة.

كان من عادتهما الذهاب إلى الحمام التركي في شارع الدوق الرابعة مساء يومي الثلاثاء الثاني والأخير من كل شهر، يتقابلان هناك لمدة عشرين دقيقة، يلقي فيها كل منهما كل مرة نظرات عابرة على الآخر نظرا لتعنتهما في إظهار مشاعر كل منهما لبعض، بما فيها من الكره والبغض.

التقيا آخر مرة في الحمام التركي بعد فسخ الخطوبة بثلاثة أشهر، بدا كليستون مريضا منذ ستة أسابيع، يبدو شاحب الوجه ذا نظرات يائسة، وصل يوم الثلاثاء الثاني من تشرين الأول إلى الحمام في تمام الساعة الرابعة، وقد أحضر معه كعادته "ترمسا" من الشاي الصيني الأخضر يحتسي منه كلما شعر بتوعك بعد الحمام. وصل ويلتون بعده بدقائق، خلع كليستون ملابسه ودخل غرفة الحمام قبل ويلتون بدقيقتين. بقيا في الغرفة الحارة مدة متساوية، وبعدها انتقل كليستون إلى الغرفة الأكثر حرارة بعد ويلتون بدقائق مصطحبا معه (ترمسه).

وتشاء المصادفات أن يكونا وحيدين في الغرفة الأكثر حرارة، ولم تمض على دخولهما دقيقتان حتى سمع شجارهما الرجال الأربعة في الغرفة المجاورة، نعت كليستون ويلتون بأقذر الشتائم كما صرح بأنه سيقضي عليه، فأجابه ويلتون: "ليذهب إلى الشيطان" مرتين. مضى كليستون في كيل الشتائم له، فما كان من ويلتون أن صرخ بأعلى صوته: "اخرس.. أيها الأحمق العجوز! وإلا سأقتلك"، إلا أن تهديد ويلتون لم يكن ليردع كليستون فيصمت. فخرج ويلتون بعد دقيقتين من شجارهما عابسا من الغرفة الأكثر حرارة، ومشى عبر الغرفة الحارة إلى غرفة التدليك ووضع نفسه بين يدي أحد المدلكين.

وبعد ثلاث دقائق دخل رجل يدعى هلستون إلى الغرفة الأكثر حرارة. كان كليستون ممددا علي ظهره والدم يتدفق من جرح فوق قلبه.

حدثت هناك جلبة وضوضاء، واستدعيت الشرطة التي قامت باعتقال ويلتون الذي فقد السيطرة على أعصابه، وأخذ يحتج بعنف ويبعد التهمة عن نفسه بشتى الطرق، إلا أن أحدا لم يكن ليصدقه.

وبعد فحص الغرفة والجثة، خرج مفتش التحري المسؤول عن القضية بنتيجته مفادها أن كليستون قد غدر أثناء شربه للشاي، فقد كان (ترمس) الشاي ملقى على الأرض، وانزلقت منه بعض أوراق الشاي، ولا بد أن الخادم قد عبأ الشاي بإهمال، فلم يصف الشاي من أوراقه.

وبدا وكان المجرم قد انتهز انشغال كليستون بشرب الشاي، فقام بطعنه متخفيا بالترمس الذي كان يشكل حاجزا بينه وبين كليستون، وكان

من الواضح أن القضية منتهية لولا حقيقة انعدام السلاح المستخدم. من السهل على ويلتون أن يدس السلاح في المنشفة التي يلف بها جسده، ولكن كيف تخلص منه؟ أين خبأه؟ إذ ليس من السهل إخفاء أي شيء في الحمام التركي، فهو عار وفارغ.

قامت الشرطة بتفتيش كل جزء من البناء مر به ويلتون، فقد خرج من الغرفة الأكثر حرارة عبر الغرفة الحارة إلى غرفة التدليك، في الوقت الذي صاح به هيلستون: "جريمة!" فما كان من ويلتون إلا أن هرع عائدا مع المدلكين إلى الغرفة الأكثر حرارة وظل هناك وبما أن الشبهات حامت حوله بشكل واضح، فقد أطبق المدلكون وعمال الحمام الطوق عليه لتأكدهم من هروبه فيما لو ذهب إلى غرفة الثياب، لو سنحت له الفرصة بذلك.

لا بد أنه قد حمل السلاح إلى الحمام مخبأ بالمنشفة، ووضعها جانب الحوض الذي يستحم فيه، دون أن يمسها أحد، ولم يجدوا أثرا للسلاح أو الدماء عليها، غير أن الجرح كان يشير إلى استخدام سلاح ما، فأين هو يا ترى؟!!

أدلى الأطباء الذين أجروا التشريح على الجثة أن الجرح ناجم عن استخدام أداة حادة مدببة ومدورة، يبدو أن قطرها يصل حوالي ١ سم، دخلت بعمق ٥و٧ سم. وبفرض أن مقبضها بطول ١٠ سم، فلا بد أن تكون أداة ظاهرة، ومن المستحيل إخفاؤها.

وأكد الأطباء أن كليستون كان قد لقي حتفه أثناء عملية شرب الشاي، كما اكتشفوا أنه كان يعاني من مرض السرطان. ولم تنشر هذه الحقيقة في الصحف. مثل ويلتون بين يدي القضاء، وكم كانت دهشة الناس شديدة عندما وقف يدافع عن نفسه بنفسه، دون أن يوكل أي محام للدفاع عنه ويقسم بأعظم الأيمان إنه لم يلمس كليستون، ولم يكن بحوزته أي نوع من السلاح عندما توجه إلى الحمام التركي.

امتلأت الصحف بأنباء الجريمة، وكان السؤال المطروح على الساحة:

- أين استطاع ويلتون إخفاء السلاح؟

كتب الناس إلى الصحيفة يقترحون احتمالات كثيرة لحل هذا اللغز، وشغلت إنكلترا بأكملها بالبحث عمن باعه ذلك السلاح العجيب، على أن كل الدلائل تشير إلى أن ويلتون هو الجاني، ولا أعتقد ذلك؛ فهو ليس بالرجل الذي يرتكب جريمة فظيعة كهذه، وإن لم يكن هناك بد من مدبر لتلك الجريمة، فلا يمكن أن يكون غير كليستون.

كنت صديقا مقربا من ويلتون، لذا ذهبت لزيارته في السجن، وقد تأثر لتلك اللفتة وبدا ممتنا لزيارتي، فقد علمت أني الوحيد الذي قام بذلك. شرح لي الجريمة على عجل، وتكلم بصراحة تامة في أنه لم يتوقع أن أصدق براءته في ظل تلك الظروف. أكدت له ثقتي التامة ببرءاته، فعادت نظرة الامتنان تطل من عينيه.

كانت روث في حالة حداد على والدها، لكن الخطر المحدق بـ (ويلتون) كان يشغل بالها ويضعها في دوامة؛ فالمرأة قد تتشاجر مع رجل بمرارة دون أن ترغب في شنقه، وهذا المصير الذي بدا محيقا بـ (ويلتون)، لكنها لم تكن لتصدق – ولو لحظة واحدة – أن ويلتون قاتل أبيها. قالت بتصميم:

"لا، لا شيء من هذا القبيل.. لا شيء أبدا لو أن أبي قتل ويلتون لكان الأمر بدهيا، فلديه الأسباب المسوغة له ذلك، أما أن يقتل ويلتون أبي، فهذا مما لا يصدق، إنه مجرد هراء إذ ليست هناك أسباب دافعة لذلك".

أيدت رأيها ودليلها المنطقي الذي أدلت به على براءة ويلتون، ولكن يبقى السؤال المطروح: "من الفاعل؟" وأخبرتها بأن الشرطة قد قامت بتحريات دقيقة عن كل شخص تواجد في الحمام ذلك الوقت، ولم تصل إلى دليل يرشدها.

قالت مفكرة: "إما أن يكون القاتل أحد الموجودين في الحمام، وإما شخصا من الخارج، ارتكب الجريمة ولاذ بالفرار" "لا أعتقد أن بإمكان أحد من الخارج أن يدخل الحمام، ويخرج منه بسهولة"

ازداد عبوس وجهها عندها، وكأنها تشهد الواقعة في مخيلتها، وكان من الواضح أنها تعمل عقلها للوصول إلى كيفية وقوع الجريمة كما وقعت فعلا، وبقيت مستغرقة في التفكير.

اتصلت بها صبيحة يوم المحاكمة بعد الإفطار للذهاب إلى نيو بيلي مكان المحكمة. كانت شاحبة تبدو عليها أمارات الأرق والسهر، وكان هذا بالطبع دليلا على ما كانت تخفيه من انفعالات ومشاعر، على ما كانت عليه من قدرة وحزم في إخفاء مشاعرها.

قالت بصوت منفعل: "أظن أنني وجدتها"

كان لنا لقاء مع هاملي محامي ويلتون بالطبع.. كان يأمل أن تساعده روث بالمشورة باعتبارها أقرب شخص من ويلتون وأبيها في الوقت نفسه. كان توقيتي في الانطلاق مناسبا، فقد وصلنا عند افتتاح الجلسة. كانت القاعة مليئة بالنساء المتأنقات، بعد قليل دخل القاضي، ومما زاد توتر الجو أجراس الكنيسة التي تقرع لبدء طرح الجريمة بدقائقها، فكأنه جو غرفة مريض، يلفظ أنفاسه الأخيرة.

بدا ويلتون مقهورا داخل قفص الاتهام، لكنه كان ما يزال محتفظا بكرامته، وقال بصوت ثابت: "إنه غير مذنب"

افتتحت الجلسة وقرأت جهة الادعاء الوقائع، لم يكن في صوته ما ينم عن وضع أصابعهم على أي جديد. ثم رجا هيئة الملحفين ألا تعير اختفاء السلاح أي اعتبار

وقف المحامي هيلستون بعد ذلك عارضا الوقائع، مشيرا إلى عجز الشهود ورواد الحمام إثبات رؤيتهم للسلاح في يد ويلتون. ثم جاء التقرير الطبي ليؤكد على أن السلاح لا بد أن يكون ذا حجم ملحوظ

وأنه مصنوع من الفولاذ أو الحديد مدبب بحدة كقلم الرصاص ومن المستحيل تلاشيه من الحمام التركي، كما لفت الأنظار إلى ورقة الشاي المشطورة والتي وجدت على الجرح مباشرة، وفسر وجودها بأن السلاح المستخدم قد تسبب في تمزيقها وبأن عملية القتل قد تمت أثناء شرب الشاي، وقد استبعد المفتش المسؤول عن البحث عن السلاح إمكانية إخفائه في أي بقعة من الحمام التركي، أصر على الافتراض القائل أن السلاح لم يغادر الغرفة الأكثر حرارة.

استفسرت جهة الادعاء عن العبارات الجارحة التي تبادلها كليستون وويلتون، أخبر ثلاثة رجال معروفون هيئة المحكمة عن جهود كليستون للتجريح بويلتون وعن العبارات المؤذية التي شتمه بها فأتت معبرة عن منتهى الفظاظة التي يكنها كليستون لـ (ويلتون)

لفت انتباهي أثناء استجواب المدلكين نقر روث بأصابعها كدليل على توترها وتلفتها نحو مدخل المحكمة بنفاذ صبر وكأنها تتوقع أحدا ما ثم دخلت إلى منصة الشهود فإذا برجل طويل أشيب الراس في حدود الستين يدخل حاملا طردا ورقيا كان وجهه مألوفا إلى إلا أنني لم أتمكن من تحديد هويته تماما.

نظر هذا الرجل إلى (روث) وأومأ برأسه فأطلقت تنهيدة عميقة تنم عن ارتياحها لمجيئه ثم انحنت وناولت محامي ويلتون رسالة وأشارت إلى الرجل الأشيب ثم ذهبت بهدوء إلى منصة الشهود.

قرأ المحامي (هاملي) الرسالة وقام بتسليمها فورا إلى جهة الادعاء، وتحدث إليه.. بانفعال ملحوظ قرأ المدعي الرسالة، وبدت أمارات الانفعال بدوره على وجهه.. نهض المحامي هاملي من مقعده وذهب إلى الرجل الأشيب الذي مازال واقفا جانب الباب وأخذ يتحدث إليه.

شرع المستشار الأول يتأمل روث مليا؛ فاستدعيت روث لتدلي أمام المحكمة بتهديدات أبيها الصريحة لويلتون، ثم سألها عن علاقتها الخاصة بويلتون وعن فسخ الخطوبة ووقع ذلك على والدها.

اعترفت روث ان والدها كان فظا غليظا مع ويلتون، وأنه أسر لها بعزمه على بذل كل ما بوسعه لتحطيم ويلتون، لكنها لم تصدق ما قاله لها والدها بأن ويلتون قد نبذها وكرهها.

نهض المدعي العام لاستجواب روث بثقة وجابهها بحقيقة العلاقة الحميمة التي تربط والدها بويلتون إلى ما قبل فسخ الخطوبة ثم سألها: "هل صحيح أن المتهم استسمحك غير مرة وطلب منك العودة وتجديد الخطوبة مرة أخرى؟!".. قالت روث: "أربع مرات" "أنت ترفضين؟".. "نعم" ثم نظرت إلى ويلتون وأضافت: "إنه بحاجة لدرس"

سألها القاضي: "هل كنت تنوين إذا أن تغفري له في النهاية؟"

ترددت روث ثم عبست بوجه ويلتون وقالت: "أوه.. حسنا لا داعي للعجلة، فهو مستعد دائما لأن يتزوجني إذا غيرت رأيي وقبلت"

فقال القاضي: "وهل يعرف أبوك هذه المشاعر؟ "

"لا.. لم أخبره كنت غاضبة مع ويلتون"

وبعد فترة من الصمت تابع المدعي من منطلق آخر:

"هل صحيح أن أباك مصاب بسرطان خطير؟"

أجابت روث بحزن: "بداية سرطان خطير"

"هل قام بكتابة وصيته بممتلكاته قبل وفاته؟"

"قبل ثلاثة أيام"

"هل سبق له أن عبر عن رغبته بالانتحار؟"

"لقد قال أنه سيترك الأمر قليلا ثم ينهيه دفعة واحدة"

ثم اضافت بعد برهة: "وهذا ما فعله"

اضطربت قاعة المحكمة، وتململ كل شخص في مكانه وعلت الهمهمة.. تابع المدعي:

"هل لك أن تخبري المحكمة عن الأسباب التي دعتك لقول هذه العبارة؟"

استجمعت روث نفسها – كانت تبدو متعبة جدا – وتكلمت بصوت هادئ:

"لم أكن لأستطيع التسليم ولو لحظة واحدة، أن ويلتون قام بقتل والدي، ولو قام والدي بقتل ويلتون لاختلف الأمر.. أصابتني الحيرة طبعا كأي شخص لمعرفة السلاح الذي استخدم كيف كان وكيف تم له الحصول عليه؟ وبديهي ألا يكون مصنوعا من الفولاذ المدبب لصعوبة إخفائه في الحمام التركي لكن الشيء الذي أثار حيرتي أكثر كان وجود ورقة الشاي في الجرح، كانت جميع الأوراق المتساقطة من (الترمس) ملقاة على الأرض، ولم أقتنع بفكرة أن ورقة واحدة قد سقطت على قلب والدي فوق موضع الجرح بالذات وقت ارتكاب الجريمة فشطرها السلاح نصفين إنه استنتاج غير مقنع غير أني لا أجد تصورا يفنده"

توقفت قليلا، وطلبت كأسا من الماء بسبب سهرها الليلة السابقة كلها.. قدمت إليها الكأس الذي طلبته. ثم تابعت حديثها بصوتها الهادئ:

"تذكرت بالطبع كلام والدي عن نيته في إنهاء الأمر كله، ولكنني عاجزة عن تخيل استطاعته النهوض بعد طعن نفسه بذاك السلاح وإخفاءه بعد انتحاره به؛ إذا فمن غير الممكن أن يكون قد قام بعملية الانتحار، وفي ليلة ما قبل الأمس حلمت أني ذهبت إلى المخبر ولفت نظري قطعة فولاذ مدببة ملقاة على منضدة والدي التي اعتاد العمل عليها"

دمدم المستشار بانزعاج: "أضغاث أحلام!"

تابعت روث: "لا آخذ الأحلام على محمل الجد طبعا، وربما كان لانشغالي الدائم بهذه القضية الدور الرئيسي الذي يوحي لي بهذه الفكرة، ولا أخفيكم ما انتابني من شعور خفي – بعد الإفطار – من أن السر كل السر كامن في المخبر لا غيره، لم ألق بالا إلى ما كان يصرخ بي من الداخل، ولكنه أخذ يتعاظم ويشتد شيئا فشيئا، فما كان مني إلا أن توجهت بعد الغذاء نحو المخبر للبحث في صدق ذلك.. فتشت جميع الأدراج ولم أجد شيئا وطفت بالغرفة أتفحص كل شيء: الأدوات، التقارير، الأنابيب، وما إلى ذلك، ثم توقفت في منتصف الغرفة، وأخذت أنعم النظر في الأرض والجدران وقرب الباب.. رأيت أنبوبة غاز جاهزة للاستخدام، أمسكتها لأتعرف على الغاز الموجود فيها من خلال الورقة الملتصقة عليها"

توقفت لتنظر في أرجاء المحكمة، ثم تابعت:

"كان الأمر مريباً لأن أي أنبوبة غاز يلصق عليها ورقة تحدد محتوياتها، فالغازات خطرة. نزعت غطاء الأنبوبة فلم ينبثق منها أي غاز ما، فقد كانت فارغة تماماً. توجهت بعدها إلى الكتاب الذي تسجل فيه كل المواد التي تحضر إلى المخبر، ووجدت أن والدي كان أحضر قبل وفاته بعشرة أيام أنبوبة غاز ثاني أكسيد الكربون، وسبعة أرطال من الجليد. وتكرر إحضاره لسبعة أرطال الجليد يوميا حتى يوم وفاته، وكان إحضاره للجليد بوجود غاز ثاني أكسيد الكربون الشرارة التي أضاءت لي الفكرة في ذهني؛ فغاز ثاني أكسيد الكربون له درجة تجمد منخفضة،

ثمانون درجة مئوية تحت الصفر، وإذا امتزج الهواء فإنه يتحول إلى ثلج ناعم ويتحول هذا الثلج الناعم إلى جليد ذي قساوة عالية جداً يمكن الحصول عليه فيما لو تعرض لضغط شديد. ولربما استحضر والدي هذا الجليد واتخذه وسيلته في إحداث الجرح، إضافة إلى خاصية تبخره السريع!! خاصة في تلك الحرارة العالية، وبالتالي فلن يتوصل أحد لاكتشاف الأداة المسببة لذلك الجرح".

توقفت ثانية لتنظر في أرجاء القاعة، تتأمل الوجوه الكثيرة المشدوهة، ثم تابعت حديثها:

"وهكذا صنع والدي خنجراً من الجليد، له سرعة تبخر عجيبة في الغرفة الأكثر حرارة، ولتفسير تموضع ورقة الشاي على صدره، فلربما كان والدي قد صنع الخنجر قبل أسبوع أو قبل يوم واحد، ثم خبأه في (الترمس) بعد صنعه مباشرة، وكما تعلمون فإن (الترمس) يحفظ حرارة الجسم الموجود بداخله. وعلى سبيل الحيطة فقد وضع والدي الترمس في الثلاجة حتى موعد استخدامه، مما أدى إلى التصاق ورقة الشاي بطرف الخنجر، وسقطت داخل الجرح!"

توقفت مرة أخرى عن الحديث، ويمكن القول إن القاعة كلها قد تنهدت بارتياح لكلامها. سألها القاضي: "ولكن ما الذي منعك من الذهاب فوراً إلى الشرطة للإدلاء بهذه النظرية؟"

احتجت بسرعة: "ليس هذا بالتصرف السليم طبعاً، فالمهم أن يصدقني الآخرون وليست معرفتي لذلك الأمر، وكان علي أن أقوم

بالبحث عن الدليل على هذا كله. كنت أبحث عن القالب الذي ضغط فيه والدي ثاني أكسيد الكربون الثلجي ليشكل عن طريقه الخنجر، وقد وجدته!"

لفظت الكلمات الأخيرة بنبرة انتصار، واستدارت نحو ويلتون مبتسمة، ثم تابعت:

"وجدت قطعاً منه على الأقل. وجدت في الصندوق الذي نرمي فيه النفايات والأنابيب التالفة وقطع المعادن والأدوات عديمة الفائدة، وجدت قطعاً من الفلكانيت (مطاط صلد معالج بالكبريت)، واكتشفت أنها قطع من قارورة الفلكانيت. أخذت بعض الشمع وكورته بالحجم المناسب، ثم قمت بجمع قطع القارورة من الخارج، أغلبها على الأقل عن طريق الشمع، فقد كانت بعض الأجزاء الأخرى مفقودة، واستغرق ذلك العمل الليل بأكمله، ولكني وجدت أكثر القطع أهمية وهي النهاية المدببة".

مدت يدها إلى محفظة يدها، وأخرجت مادة سوداء بطول اثنتي عشر سنتيمتراً، بثخانة سنتيمترين، ورفعتها عالياً ليتمكن الجميع من رؤيتها.

انطلق أحد الحضور بتصفيق عفوي، فتجاوب معه بقية الحاضرين، وبدأوا بالتصفيق الحاد استحساناً حتى اضطر الموظف المسؤول أن يصيح طالباً الالتزام بالهدوء.

بعد هدوء عاصفة الإطراء والتصفيق، قال المدعي العام والذي لم يضيع اللحظة الحاسمة أبداً: "ليست لدي أسئلة أخرى للشاهدة سيدي القاضي"، ثم جلس.

بدا المشهد جلياً أمام عيني، كما أظنه أمام أعين المحلفين. انحنى القاضي للأمام وسأل (روث) بصوت حاد: "هل تتوقعين من المحكمة أن تصدق أن رجلاً لامعاً مثل والدك يقدم علي قتل نفسه بتلك الطريقة التي تودي برجل برئ إلى حبل المشنقة؟"

نظرت روث إليه وهزت كتفيها وقالت بصوت هادئ غير متوقع: "أوه، حسناً.. لقد كان والدي من هذا النوع، فقد كان يعتقد بوجود أسباب قوية تدفعه لقتل السيد ويلتون".

كانت لهجتها، وتصرفها يؤكدان هذا القول. ترك المستشار تأمل روث وتشاور مع المدعي العام. ثم نهض المدعي وافتتح جلسة الدفاع قائلاً: أنه لن يضيع وقت المحكمة أكثر من ذلك، وفي ضوء الحل الذي قدمته الآنسة كليستون، فلن يقدم للمحكمة إلا شاهداً واحداً وهو البروفسور موزلي.

تقدم الرجل الأشيب الذي قدم مؤخراً إلى المحكمة من مضة الشهود، واكتشفت سر وجهة المألوف، فقد رأيت صورته في الصحف عشرات المرات، وكان لا يزال محتفظاً بالطرد الورقي. ورداً علي سؤال المدعي، أجاب: "إن ذلك ممكن، وليس صعباً الحصول على سلاح من

تجميد ثاني أكسيد الكربون يستطيع فعل مثل ذلك الجرح المميت". وشرح طريقة صناعته قائلا:

"إن الآنسة كليستون عرفت حل لغز موت والدها، وقد اتصلت بي عند الفطور، وطلبت إلي إجراء التجربة للتأكد من ذلك، فقمت بها وها هو السلاح الذي نتج معي".

وأخرج من الطرد الورقي (ترمساً)، وفتحه، ثم أفرغ محتوياته على قفازية، وسقطت عصا بيضاء، وقال "إن الفرق بين هذه العصا، والعصا التي صنعها كليستون أن قطعته مدببة، ولم يكن لدي قالب مدبب، لكن تلك التي تحملها الآنسة مناسبة جداً، ولا بد أن السيد كليستون قد صنعها بهذه الطريقة".

ثم أعاد السلاح داخل الترمس، وأغلقه.

جلس المدعي العام ونهض المستشار وسأل:

"بالنسبة للنهاية المدببة للعصا يا بروفسور موزلي، هل يمكن أن تظل حادة بشكل تخترق الجلد بتلك الحرارة ؟" أجاب البروفيسور: "في رأيي نعم، كما أن كليستون – باعتباره رجل علم – يعرف ما يفعله تماماً، ولا بد أنه أخرج السلاح واستخدمه بسرعة لا تتجاوز الثانية. وفي اعتقادي أنه أمسك (الترمس) بيسراه واستخدم السلاح بيده اليمنى، إضافة إلى سقوط ورقة الشاي عند ذوبان النهاية المدببة. قال المستشار:

"شكراً لك" واستدار إلى هيئة المحلفين ثم قال: "لم يعد هناك ما نبحث عنه في هذه القضية يا سيدي؟".

نهض رئيس هيئة المحلفين وقال بسرعة: "والمحكمة لا تريد أن تسمع المزيد، لقد اقتنعنا تماماً، وثبتت براءة السجين".. قال القاضي: "جيد جداً"

خرجت من المحكمة مع روث وانتظرنا ويلتون. جاء أخيراً ووقف أمام الباب، تقدم إليها بعد رؤيته إياها. لم يصافح أحدهما الآخر، بل وضعت يدها في ذراعه، وخرجا جنباً إلى جنب من سجن نيو بيلي.

جماعة الألماسة السوداء

ألفريد هيتشكوك

(نشرت للمرة الأولى عام ١٩٢٠)

رن جرس الهاتف في منزل السيد بليك، وكان المتكلم صديقه المفتش بورفيز الذي أخبره أن كانون ويمبرلي، ابن عم اللورد وين، ووريثه الوحيد قد عثر عليه ميتا في مكتبه وسط ظروف مثيرة للشكوك. قال المفتش:

"أريد منك أن تذهب إلى مكان الحادث وتلقي نظرة على المكان.. لقد عثر الخدم على السيد كانون باكرا في الصباح، وقد ذهبت بنفسي إلى هناك عند الساعة التاسعة، وقد صرح الطبيب فالموت حدث بسبب لدغة أفعى، وقد حدد زمن الوفاة، وحسب تقرير الطبيب: الموت حدث في الساعة الثانية صباحا"

كان السيد كانون أخصائيا في علم الأحياء وله مكانة متميزة كاختصاصي في شؤون الطيور، وخاصة البريطانية منها، ولقد قال الخدم أنه على وجود العديد من الحيوانات المنزلية في بيته، إلا أنه ليس هناك أي ثعبان.. وقال المفتش على الهاتف:

"يبدو الأمر لغزا محيرا، وقد كنت أود الذهاب معك، ولكني متعب جدا وأريد الاستلقاء قليلا، وأنا أريدك أن تتولى هذه القضية أنت بالذات، وليس أحد غيرك في سكوتلانديارد"

ذهب بليك إلى البيت، إنه منزل متسع ومبني من القرميد الأحمر، طراز يرجع إلى عهد الملكة "آن"، في شارع جانبي ضيق من منطقة تشيلسيا، أما الحديقة متسعة وجميلة ومرتفعة الجدران، وهي تشكل حقل دراسة جيد لرجل مهتم بالطبيعة وعلوم الأحياء. دخل بليك إلى المكتبة مباشرة، وكان تطل على الحديقة، لاحظ بليك الذوق الرفيع في اختيار الألوان والأثاث، وطريقة توزيعه، وكان كل شيء يدل على الثراء أيضا إلى جانب الذوق.

وفي المكتبة ظهرت الكتب على الرفوف، وبدت مجلدات الكتب الفاخرة والتي زينت أغلفتها باللون المذهب، وتوزعت بعض أعمال النحت الفنية المصنوعة من البرونز أو الرخام، وإلى جانب النوافذ شاهدت منضدة تستعمل عادة لغرض إجراء التجارب وتحنيط الحيوانات.

ألقى بليك حوله نظرة شاملة ثم التفت إلى الخادم الذي يقف وراءه وسأله: "من الذي اكتشف الجثة؟" فأجابه: "إحدى الخادمات يا سيدي.. لقد سمعت صراخها عندما كنت في غرفة الطعام، وهرعت مسرعا إلى هنا..."

قاطعه بليك متسائلا: "كم كانت الساعة؟" فقال: "كانت الساعة السابعة تقريبا يا سيدي.." وهنا طلب بليك من الخادم المزيد من التفصيل.

شرح الخادم كيف كانت الأنوار مضاءة في الغرفة، حتى أن الضوء المسلط على منضدة التحنيط كان أيضا يشع بالنور، وقد كان السيد كانون مستلقيا على الأرض، وبدا من شكله أنه مات وهو يتلوى من الألم، وقد ادعى الخادم أنه أسرع ليساعده، ولكنه عرف من الوهلة الأولى أن السيد قد فارق الحياة؛ لذلك اتصل بالدكتور هاربورو هو صديق السيد وكان معتادا على زيارته باستمرار، وهو الذي نصحه أن يتصل بالشرطة فورا.

وحسب تعليمات الشرطة، لم يقم أحد بلمس شيء في الغرفة.. وقد حاولت الخادمة أن تنظف الغرفة جهلا منها بالتصرف السليم في هذه الحالات لكن الجميع منعوها من عمل ذلك.

فهم بليك من الشرح الذي سمعه أن السيد كانون كان منهمكا خلال الليل بمعالجة طائر مقطع الأوصال، وكان الطائر لا يزال فعلا على منضدة التحنيط.

صعد بليك بعد ذلك إلى الطابق العلوي، ودخل غرفة الفقيد، وهناك رأى آثار لدغة الأفعى، تماما كما قال الطبيب في تقريره.. فقد شاهد ثقبا في الإبهام، وثقبا آخر في راحة اليد.. ولكن بليك دهش لهذه المسافة الكبيرة نسبيا والتي تفصل بين الثقبين؛ فمن المفترض أن تكون

المسافة على الأكثر إنشا واحدا فقط. هذا إذا كان السيد كانون يقتني أفعى من أجل تجاربه وبافتراض أن هذه الأفعى لدعته أثناء عمله.

عاد بليك ليفحص المكتبة فحصا دقيقا، علـه يعثر على مفتاح للحل ولكنه أمضى ساعة كاملة دون الوصول إلى شيء.. ولكن شيئا واحدا لفت نظره، لقد تلقى السيد كانون في اليوم السابق لوفاته رزمة بريدية، وشاهد بليك غلافها ذا اللون البني في سلهة المهملات.. إنها رزمة على شكل علبة مستطيلة، وكان واضحا عدم إمكان وضع أفعى في تلك العلبة.

رن بليك الجرس، وعندما جاء الخادم سأله عن الشيء الذي كان ضمن الرزمة البريدية عندما وصلت إلى السيد الفقيد، وجاء جواب الخادم ليزيد اللغز تعقيدا؛ فالعديد من الناس يرسلون الرزم البريدية إلى السيد كانون، وهي تحتوي عادة على أشياء غريبة، مثل الطيور والخنافس. وأشياء أخرى؛ فالسيد مولع بهذه الأشياء.

طلب بليك من الخادم أن يركز على موضوع هذه الرزمة بالذات، والتي وصلت بالبريد يوم أمس، وأكد الخادم أنه استلمها بنفسه، وكان السيد مشغولا ساعة وصولها، لذلك فتحها الخادم ونظر إلى ما فيها، حيث كانت تحتوي عظاما صغيرة، وأشار الخادم إلى أن تلك العظام لا تزال موجودة على المنضدة، حيث السيد كانون، وقد أعطاه العلبة ليرميها في سلة المهملات.

شكر بليك الخادم على هذه المعلومات، وبدأ يتفحص تلك العظام، وهو يأمل أن يعثر على شيء، وكان فحصا دقيقا يحتاج إلى صبر لا حدود له.

إنها عظام طائر صغير؛ فالجمجمة لها منقار طويل مقوس أما الجناحان فقد كانا مكسورين، تناول بليك زوجا من الملاقط من صندوق أدوات التشريح، وبدا يتفحص بشكل دقيق، وهنا عثر عن بداية حل اللغز.

لقد اكتشف بليك وجود جسم غريب بين العظام، حيث يختفي ذلك الجسم الغريب بشكل متقن، ولكن ملاقط أدوات التشريح ممتازة في مثل هذه الأمور، لقد انتزع بليك ذلك الجسم لغريب بكل بساطة.

نظر بليك إلى ذلك الشيء الطويل، ثم صدر منه صوت صفير طويل لقد عرف كيف مات كانون ويمبرلي، لقد توفي بلدغة أفعى، وذلك الجسم الغريب لم يكن سوى أفعى من نوع ذوات الجرس. إنها جريمة متعمدة، وقد خطط لها فاعلها بشكل ممتاز.

لم يعرف بليك الدافع إلى عملية القتل، ولكنه أدرك الفاعل، وقد أرسل عظام الطائر عبر البريد، ولذلك فهو الآن بعيد عن مسرح الجريمة، بعيد عن الأنظار، بل أنه يستمتع بأخبار نجاح الفخ الذي نصبه.

إنه حقا فخ مصنوع بعناية، بل ببراعة شيطانية؛ ففي أعلى الناب يوجد كيس صغير بحجم حبة البازلاء، فإذا حدث قدر من الضغط انبجس السم سريعا.

بدا واضحا أن الفاعل اقتلع الناب وكيس السم من الأفعى التي كانت على قيد الحياة، ثم حشر الناب في العظام، وعندما ضغط السيد القتيل قليلا ثقب إصبعه وانبجس السم دون أن يدري ما يحدث حقيقة، ومضى الوقت بينما كان السم يفعل فعله في جسم السيد كانون.. وفي النهاية استحوذ السم عليه فطار يتلوى ويتشنج من الألم حيث لم يتمكن من طلب النجدة، هكذا وقعت تلك الجريمة الخبيثة.

بدأ بليك بالتحرك وكتب عدة برقيات إلى أصحاب محلات بيع الحيوانات في لندن، وحمل الخادم البرقيات التي تسأل عن الحية ذات الجرس. لم يعد أمام المفتش ما يفعله بانتظار وصول الأجوبة؛ لذلك بدأ يتفحص ملابس القتيل عساه يعثر على شيء جديد، وأثار اهتمامه وجود مفتاح صغير معلق بحبل حريري أسود اللون حول عنق القتيل.

حمل المفتاح وصار يفكر: ما وظيفة هذا المفتاح الصغير؟ صار ينظر إلى الرفوف، وخلف اللوحات المعلقة على الجدران، إلى أن عثر على صندوق فضي لحفظ المجوهرات؛ فحاول أن يفتحه بذلك المفتاح ولحس الحظ انفتح الصندوق، وهناك عثر على أوراق خاصة بالقتيل. في مثل هذه الظروف لم يكن هناك بأس من الاطلاع على تلك الأوراق، وبالفعل عثر المفتش على بطاقة صفراء قديمة، طبع في وسطها شكل

جوهرة ألماسية، وإلى جانب البطاقة رسالة مغلقة بعناية، مكتوبة عليها: (تفتح فقط في حال موتي)، بدا الأمر مثيرا للفضول تماما، لذلك فتح المفتش الرسالة.

كانت رسالة السيد كانون تقول: هذه معلومات خاصة بي لا يعرفها أحد من أقاربي أو أصدقائي؛ ففي عام ١٨٦٨ ذهبت إلى المكسيك، وانغمست في اهتمامات سياسية بسبب ما لمسته هناك من استبداد وظلم وفساد بين السياسيين، وعندما سمعت عن جمعية الألماسة السوداء انتسبت إليها دون أن أعرف حقيقتها. وفي أحد اللقاءات شرح لي زعماء الجمعية وجوب الطاعة الكاملة للأوامر إذا كنت أريد الانتساب حقيقة إلى جمعيتهم، قبلت هذا الشرط ثم أديت القسم، ولم أكتشف أنني انتسبت إلى جماعة مجنونة متوحشة.

وفي إحدى الأمسيات، كنا نعقد اجتماعا وبلغ عددنا أربعين عضوا وجلسنا جميعا حول مائدة مستديرة، أخرج الزعيم مجموعة من بطاقات يطابق عددها عدد الحضور. كل البطاقات بيضاء ماعدا بطاقة واحدة كانت تحمل علامة (الألماسة السوداء). شرح الزعيم اللعبة: سيسحب كل عضو إحدى البطاقات، أما العضو الذي ستكون بطاقة الألماسة السوداء من نصيبه سيتوجب عليه أن ينفذ عملية اغتيال أحد الحكام، وإذا رفض التنفيذ فسيتم إعدامه.

وياله من حظ عظيم؛ فقد كانت تلك البطاقة اللعينة من نصيبي أنا، لكنني قذفت تلك البطاقة وأعلنت: "ليس هناك على الارض شيء

يجبرني على ارتكاب جريمة قتل، حتى لو حاولتم قتلي".. في اليوم التالي مباشرة، وصلني مظروف عبر البريد، وعندما فتحته وجدت البطاقة اللعينة إياها، وعندها لم أنتظر لحظة واحدة، بل هربت عائدا إلى بلادي، ومع ذلك وصلتني رسائل تهديد بالقتل، هنا في إنكلترا" .. التوقيع/ تشارلز ويمبولي

أنهى المفتش قراءة الرسالة في ذهول، ثم أعاد الرسالة إلى الصندوق وصار يحملق عبر النافذة وهو يحدث نفسه: "منذ أربعين سنة.. من يدري.. إنه انتقام.. ولكن بعد أربعين سنة وصلت الرسائل حاملة أجوبة على سؤال المفتش حول (ثعبان ذات الجرس)، وحملت إحدى تلك الرسائل جوابا شافيا، فقد ذكر صاحب الرسالة أن رجلا مسنا اسمه (أندرسون) اشترى في الأسبوع الماضي زوجين من حية ذات الجرس. لم يترك المفتش فرصة لضياع الوقت بل تحرك فورا لزيارة مرسل هذا الجواب، والتقى معه في دكانه، وبدأ الرجل يسرد التفاصيل:

لقد جاءني ذلك الرجل، آندرسون وهو صاحب هندام وأناقة. عيناه سوداوان وله لحية رمادية، ولهجته غريبة، عمره حوالي ستين عاما.. لقد سأل عن أشياء كثيرة، ثم سأل بطريقة تنم عن اللامبالاة عن الأفاعي وجلبت له زوجين من نوع السافانا، وقد سر لذلك واشتراهما.. وبالتالي وضعتهما في علبة آمنة، مع شيء من الحليب، وأعطيته تعليمات حول كيفية رعاية الثعابين..

قال المفتش:

- أظن أنك تبيع الثعابين بعد نزع أنيابها.

رد البائع قائلا:

- ماذا تقول؟ ليتك رأيت السم وهو ينبجس من ناب الثعبان.. لقد تلطخ جدار العلبة بالسم. إنها ثعابين حقيقية كاملة يا سيدي.

للأسف لم يجد المفتش عنوان (أندرسون) لدى البائع، ولكنه حصل على علبة سجائر فارغة، وقد قال البائع ان أندرسون كان يدخن من ذلك النوع، وأنه ألقى تلك العلبة في دكانه.. اهتم المفتش بالأمر واحتفظ بالعلبة الفارغة، إنها علبة سجائر مصنوعة في المكسيك.

بعد ثلاثة أيام اتصل بليك مع صديقه المفتش، وقال له:

- الآن صرت مستعدا لاعتقال القاتل، في أي وقت تشاء.

إنها حقا أخبار عظيمة، وقد أضاف بليك قائلا أنه تناول طعام العشاء بالأمس على مائدة واحدة مع القاتل.. هنا تشوق المفتش إلى معرفة اسم ذلك القاتل له بليك:

- إنه (السنيور مانويل بوتيرت) أحد أفراد أكبر العائلات في مدينة المكسيك..

اتفق الرجلان على الالتقاء عند عنوان محدد أملاه بليك، وهنا قرع جرس أحد البيوت، ثم لجأ إلى عش النسر، وعندما تقدم السنيور مانويل لاستقبالهما، قال بليك:

- أقدم لك المفتش بيرفيس من سكوتلانديارد، إنه هنا من أجل اعتقالك بتهمة قتل السيد كانون.

دهش السنيور للكلمات التي طرقت سمعه، ثم جلس وأخرج لفافة تبغة ثم قال:

- يفترض أن تقدموا البراهين قبل الاتهام..

وهناك بدأ المفتش يتحدث:

- تلقى السيد كانون رزمة بريدية في صبيحة يوم وفاته، وكانت الرزمة تحتوي عظام طائر، وفي العظام تم حشر ناب أفعى، وقد أصيب كانون بالسم ومات.

عندما اتصلنا مع عدة بائعين متخصصين بيع الحيوانات أكد أحدهم أنه باع ثعبانا إلى شخص غريب اسمه أندرسون، هذا شخص غير مبال؛ فقد خلف وراءه علبة السجائر وقد حفر عليها حرفان : م — ي

كذلك عثرنا على رسالة تتعلق بجمعية سرية في المكسيك، شعارها الألماسة السوداء، وقد انضم القتيل إلى تلك الجمعية، وعندما تكشفت أمامه الحقائق انسحب هاربا. وعلى ما يبدو، فإن أعضاء تلك الجمعية من الطبقة العليا؛ لذلك استفسرت عن قدوم شخص مكسيكي، وذكرت الحروف الأولى من اسمه وهي الموجودة على علبة السجائر، وبعد يومين من البحث عرفنا أن السنيور مانويل يوتيرت موجود في لندن.

وعندما العثور عليه في أحد المطاعم الفاخرة طلبنا من أحد الخدم تزويدنا بالكأس بعد أن يشرب منه السنيور، وهكذا أخذنا بصمات الأصابع، وبعد المطابقة عرفنا أنه الشخص الذي نبحث عنه.

ووقف السنيور باسما، وبدأ يتكلم وكأنه يلقي خطابا:

- يشرفني أن أكون رئيس جمعية الألماسة السوداء.. لقد نكث كانون بوعده، ولذلك فهو يستحق تلك العقوبة، وهكذا ظللت أبحث عنه أربعين عاما.. وإذا كنت يا سيدي المفتش تظن أنك قادر على اعتقالي فأنت مخطئ تماما.. لن أسمح لك باعتقالي

وهنا قفز إلى الأمام وتناول سكينا، قبل أن يحاول أحد منعه، كان كل شيء قد انتهى؛ فقد مات السنيور.

القصة الرابعة
النحل القبرصي

ألفريد هيتشكوك

(نشرت لأول مرة عام ١٩٢٤)

يعمل المفتش بايلز في سكوتلانديارد، وهي دائرة مباحث لندن الجنائية، وها هو يأتي اليوم إلى الدكتور هيلي، ويقترب منه حاملا صندوقا خشبيا صغيرا، ويقول:

- في هذا الصندوق سر غامض، حتى أنت يا دكتور ستفشل في ايجاد تفسير له..

انحنى الدكتور هيلي برأسه وتفحص الصندوق كان الغطاء مثبتا بمسمار وبالتالي يدور جاعلا المسمار مركزا له. مد الدكتور يده ليفتح الصندوق، ولكن المفتش تحرك بسرعة صارخا:

- انتبه يا دكتور.. هناك العديد من النحل في الداخل، وبالتحديد هناك أربع نحلات، وإحداهن لسعت أحد زملائي في سكوتلانديارد، وذلك لأنه لم ينتبه، بل رفع الغطاء قبل أن يعرف الموجود داخله.

تراجع الدكتور إلى الخلف مندهشا، فيما عكر الهدوء صوت سيارة عابرة في الشارع، خارج ذلك البيت. عاد المفتش بايلز لشرح الموقف، فالتفت إلى الدكتور قائلا:

- في ليلة الأمس، عثر أحد رجالي على هذا الصندوق، وكان ملقى في المجاري قريبا من ميدان بيكادللي، اعتقد الرجل أن الصندوق ربما حمل دلالة مهمة، ولذلك جاء به إلى إدارة سكوتلانديارد، وهناك أفادنا أحد الخبراء أن هذه الحشرات هي نحلات عاملة وأنه من الجنون وضعها بها الشكل، إذ لا يمكن أن ننقل في الصندوق إلا ملكات النحل فقط.

رفع الدكتور هيلي نظارته وحملق في المفتش قائلا:

- لكن يا عزيزي.. ما الشيء الذي كان يحتويه الصندوق قبل ذلك؟

أكد المفتش أنه لا يعرف، وهنا ابتسم الدكتور وعبر عن ظنونه:

- ربما كان يحتوي على سيروم مضاد للدفتريا، أو شيء من هذا القبيل، لذلك ربما كان مالك الصندوق طبيبا..

تأثر المفتش باستنتاجات الدكتور هيلي، وقال له:

- هذه خطوة جيدة لقد عرفنا الآن أن مالك الصندوق طبيب وأن....

هنا قاطعه الطبيب قائلا:

- ليس حتما.. ربما ترك الطبيب الصندوق في منزل واحد من مرضاه، وأن المريض يستخدم ذلك الصندوق بعد خلوه من الدواء، بالتالي صار المريض يستخدم الصندوق لنقل النحلات.

هز المفتش رأسه موافقا، لأن هذا الاستنتاج معقول ومقبول أيضا، وهنا فك أزرار معطفه، واعتدل في جلسته ثم نظر في وجه الدكتور، وقال له:

- سأقول لك السبب الذي جعلني أدق عليك الباب في هذا الوقت غير المناسب؛ فقد عثرنا على جثة امرأة ميتة قرب سيارة في ميدان ليستر، ويبدو أن نحلة لسعت تلك السيدة قبل وفاتها بوقت قصير.

غير المفتش من طريقة جلوسه، ثم أضاف يقول:

- لقد قام الطبيب الشرعي بفحص الجثة فورا، وقد لاحظ مكان اللسعة؛ فهي في جبهة الرأس مباشرة، أما النحلة فقد عثرنا عليها في أرضية السيارة.

أخرج المفتش علبة صغيرة من جيبه، وقدم العلبة للدكتور، وهو الذي فتحها ليجد النحلة الميتة.. كانت نحلة غير عادية، إذ أن هناك حلقات صفراء على جسمها، ووضح المفتش الأمر، فقد قال خبراء النحل أن هذه النحلة من فصيلة النحل القبرصي، وأن هذه الفصيلة ذات طبع شراس..

أخرج الدكتور نظارة مكبرة ، وصار ينعم النظر في هذه النحلة، ولقد وجدها فرصة ليعرف شيئا عن الفارق بين النحل القبرصي والنحل الإنكليزي، مع أنه ليس خبيرا في هذا الحقل، وبعدما حدق بما فيه الكفاية، التفت إلى المحقق وسأله عما إذا كان أحدهم قد توصل إلى نظرية تفسير اللغز؛ فأجابه المفتش بالنفي وقال:

- إن النظرية الوحيدة هي أن الموت حدث بسبب لسعة النحلة، وربما سببت النحلة صدمة، وبالتالي انهارت السيدة، وشارفت على الموت.. لقد كان واضحا أنها خففت سرعة السيارة واقتربت من يمين الطريق ثم أوقفت السيارة تماما.. يقول الطبيب الشرعي ربما أدت اللسعة إلى سكتة قلبية.

صمت الدكتور هيلي قليلا، وسرح بنظراته، وبدأ يسترجع ذكرياته، ثم انفرجت أساريره وقال:

- لقد عشت هذه التجربة بنفسي ذات مرة.. لقد حصل ذلك منذ زمن بعيد. إنها حادثة مماثلة.. فقد عرفت رجلا مهتما بتربية النحل. تصور يا عزيزي المفتش.. هذا الرجل، وبعد سنوات من العمل في تربية النحل، مات فجاة بعدما لسعته نحلة لقد استغرق الأمر كله خمس دقائق، فارق الحياة ولكن حالة ذلك الرجل واضحة، فقد كانت حالة من (الإعوار)

تنبهنت أحاسيس المفتش كلها، وأخذ ينعش دماغه كي يستوعب الموضوع جيدا، وسأل المفتش:

- الإعوار؟ إنني لا أفهم كلامك.

بدأ الدكتور يشرح للمفتش:

الإعوار يا عزيزي اسم يطلق على ظاهرة مدهشة، بل هي الظاهرة الإكثر إدهاشا في العلوم الطبية.. فإذا تلقى الكائن البشري جرعة من السيروم أو الدم أو أي سائل من جسم حيوان ما تنشأ لدى الإنسان حالة نادرة من حالات التحسس تجاه تلك المادة بالذات.. مثلا يا صديقي لو دخلت إلى دمك جرعة بياض بيض فلن يمضي أسبوع حتى تظهر حساسية عندك تجاه المادة البيضاء الموجودة في البيض، ولذلك يصبح من الخطر الكبير أن تاخذ جرعة أخرى لأنك ستموت فورا، وذلك بسبب الحساسية، وعلى فكرة إنني هنا أتحدث بالتحديد عن بيض البط لأن بيض الدجاج لا يولد هذا النوع من الحساسية، وفوق ذلك يصبح تناول بيض البط عن طريق الفم يصبح هذا خطرا.. وقد يؤدي إلى الموت أو المرض الشديد.

وإذا أسعفتني ذاكرتي يجب أن تكون الفترة الفاصلة بين الجرعتين أسبوعا على الأقل.. أقصد يا عزيزي المفتش أنك لو أخذت الجرعة الأولى في أول يوم، ثم تناولت الثانية في اليوم التالي مباشرة فلن يحدث أي ضرر لأن هذه الفترة الفاصلة غير كافية لاستثارة الحساسية..

وكذلك ما إن تنشأ الحساسية فإنها تدوم طويلا، وربما لسنوات لقد حدثتك عن ذلك الرجل الذي كانت مهمته تربية النحل.. لقد كنت موجودا ساعة موته ولقد ثبت أن آخر مرة تعرض فيها للسع كانت منذ

زمن طويل جدا ومع ذلك لسعة واحدة جديدة كانت كافية لتجعله من أصحاب القبور..

كاد المفتش أن يقفز من مقعده وصرخ باستغراب قائلا:

- يا إلهي.. هذا الكلام يعني احتمال وجود عملية قتل..

أكد الدكتور إمكانية هذا الاحتمال، ثم عقب قائلا:

الإعوار – بكلمات أخرى – هو فرط حساسية تجاه بروتينات معينة دخلت إلى الجسم عن طريق الحقن، وعلى كل حال فموضوع وجود جريمة وارد، ولكنه مجرد احتمال. وإذا أردت التحقيق في الموضوع أرجو أن تضع في ذهنك النقطة الأساسية التالية: لا بد أن يعطى المجرم ضحيته جرعة تمهيدية من سم النحل، والسؤال هو: كيف سيقنع الضحية أولا بتلقي تلك الجرعة.. الطريقة الوحيدة هي أن يكون المجرم طبيبا أو ممرضا، أي أنه سيحقن الضحية استطاع ان يحقن سم النحل، ولكنه كان يدعي أنه يحقن مصلا عاديا أو لقاحا ضد الجدري مثلا.

هز الدكتور رأسه موحيا بأنه موافق على هذا الاستنتاج، لكن المفتش سأله:

- هل هناك اختبار ما لكشف وجود حساسية من هذا النوع لدى المرأة الضحية؟..

أعرب الدكتور عن أسفه لعدم وجود اختبار من هذا النوع..

لم يعد أمام المفتش سوى البحث عن أدلة في مكان الحادث وفي منزل الضحية، فهو يعرف فقط أنها أرملة رسام يدعى (باردويل)، وأنها تملك شقة فارهة، وأنها تملك ثورة لا بأس بها. ألقى المفتش نظرة إلى ساعته ليعرف الوقت، وطلب من الدكتور مرافقته لزيارته الشقة، فمازحه الأخير قائلا:

- إنك دوما تملك القدرة على إقناعي.. سوف أذهب معك يا صاحبي.

وصل الرجلان إلى الشقة إياها، وكانت شقة فارهة حقا بل تدل على تبذير. من كان يظن أن صاحبة هذه الشقة الرائعة ستموت بهذه الطريقة؟.. تجول المفتش والدكتور في أنحاء الشقة، بدا المكان مثل مستودع للتحف والأثاث، ولكن الأناقة والذوق لم يكن لهما مكان في هذا البيت الفاخر. لقد اشترت السيدة كل ما رغبت في شرائه، ولكنها لم تهتم بشيء.

كل شيء فاخر: المقاعد، الأبواب، اللوحات، غرفة الطعام، الصالون، زهريات الورد.. ولكن الكآبة تسيطر عليك عندما تنظر إلى هذه الأشياء وتتذكر أن صاحبتها الآن تتمدد في المشرحة، بينما هناك قاتل ذكي يمارس حياته العادية بكل أمان.. بانتظار هدوء العاصفة..

كان رجل البوليس (تاد كاستر) قد تفحص المكان بمهارة، وقام بفحص دقيق لم يجد شيئا ذا دلالة.. أما الجيران فلم يدلوا بمعلومات تفيد التحقيق للوصول إلى حقيقة اللغز.

عرف المفتش أن السيدة كانت على صلة مع أصدقاء كثيرين، ولكن الشرطي (تيد) لم يعثر على رسائل في المنزل، كما أن المنزل كان خاليا من الخدم منذ أسابيع.

الشيء الوحيد الذي لفت انتباه الشرطي أثناء بحثه هو قطعة ورق مجعدة، وعندما فتحها عرف أنها فاتورة محل، هي صادرة عن (نادي كتاب التايمز) وتدل على مبيع نسخة من كتاب أغاني الحب لروبرت براونينغ، لكن اسم الشاري لم يكن مذكورا على الفاتورة.

عقَّب الدكتور قائلا:

- إن النساء عادة يقبلن على شراء هذا الكتاب بالذات ولكن.. إذا كانت هذه الفاتورة.. أين الكتاب نفسه؟

هنا أكد الشرطي أنه لم يعثر علي الكتاب، ولكنه عثر على روايات في غرفة النوم، أما دواوين الشعر فلا وجود لها إطلاقا، وكأن صاحبة المكان لا يروق الشعر لها.

توجه المفتش إلى غرفة النوم وألقى نظرة على الروايات، وجدها من نوع قصص الغرام أما الدكتور هيلي فقد راهن على أن السيدة ليست هي من دفع قيمة فاتورة الكتاب، وأن الكتاب لم يتم شراؤه لها بالذات، وهنا أبدى الشرطي رأيه قائلا:

- ربما تعمد أحدهم إلقاء هذه الفاتورة هنا ليثير الغيرة في نفس السيدة، ولكي يوهمها أنه على علاقة مع امرأة أخرى، وبذلك تحسن السيدة سلوكها معه.. ما رأيك بهذا التحليل يا سيدي المفتش؟..

رد المفتش بايلز بتقديم تحليل آخر:

- بل ربما كانت الفاتورة في جيب الرجل ولكنها سقطت من ثقب في الجيب، ولا بد أن يكون الثقب كبيرا.. الشيء الذي جعلني أعتقد هذا، هو أن الفاتورة مجعدة كثيرا، كأن أحدهم أدخلها في جبيه بسرعة وعلى عجل، كي لا يراها أحدهم.

كان الدكتور في هذه اللحظة يفكر بشيء آخر.. كان يفكر بنوعية هذه المرأة (إنها رخيصة.. رخيصة، لكنها جذابة وتشد الرجال إليها..) أما المفتش بايلز فقد انهمك في وضع تخيل لشخصية الجاني: إنه دكتور في منتصف العمر، لأن الضحية في الثلاثين من عمرها وهو إنسان مهمل فيما يخص الهندام، فقد سمح بوجود ثقب واسع في جيبه، وهو مغرور عاطفيا؛ فقد اشترى كتاب (أغاني الحب) بينما كان يخطط للجريمة، وكذلك فهو يسكن خارج لندن في مناطق تربية النحل، حيث البساتين والنباتات، وهناك نقطة مهمة: إنه يربي النحل القبرصي بالذات..

تذكر الدكتور أنه بانتظار موعد مع أحد التراجمة المحلفين، فاستاذن بالذهاب، وودع المفتش طالبا منه إعلامه إذا توصل إلى شيء جديد..

في اليوم التالي انشغل الدكتور، لم يتابع موضوع النحلة القبرصية، ولكنه اتصل مساء بالمفتش بايلز الذي كان متشائما، فقد تفحص دليل عناوين الأطباء في المقاطعات المحلية بلندن ولم يعثر على شخص واحد يملك تلك المواصفات، ولكنه استطاع مقابلة خادمة منزل السيدة بعد عودتها من أجازة، وقد عرف من الخادمة أن رجالا كثيرين زاروا سيدتها، ولم يكن بينهم أي طبيب، وعقب المفتش باحتمال قيام الطبيب بزيارة السيدة خلال فترة أجازة الخادمة، والتي استمرت أسبوعين كاملين.

ولأن هيلي طبيب، فإن هاجس الجريمة لا يسيطر عليه، بالتالي طرح فكرة أخرى، ورأى احتمال عدم وجود جريمة في الموضوع، وربما كانت السيدة في زيارة للريف في الصباح الذي ولغت فيه، وربما انحبست النحلة في السيارة بالمصادفة، كل شيء ممكن، وربما كان الجواب قريبا إلينا أكثر مما نتصور، وربما كان الجواب بسيطا جدا.

في الصباح قرر الدكتور هيلي أن يتحرك من جديد، هكذا توجه إلى نادي (كتاب التايمز) ليسال عن الفاتورة، وبالفعل استطاع الدكتور أن يتعرف على الفتاة التي أصدرت تلك الفاتورة وأخبرت الدكتور أن ذلك حدث قبل أسبوع، وأن الشاري رجل وبصحبته امرأة شابة وتذكرت الفتاة أن تلك المرأة متبرجة جدا وشقراء الشعر.

تحمس الدكتور من جديد، وراح يسأل عن أوصاف الرجل، فقالت له البائعة:

- أخشى أنني لا أذكر أوصافه تماما.. لقد بدا كأنه رجل أعمال، وكان يبدو أكبر من السيدة بقليل. هذا كل ما علق في ذاكرتي..

غادر الدكتور هيلي النادي وأخذ يسترجع المعلومات؛ فقد تأكد الآن أن الشاري رجل وليس امرأة، اشترى ديوان الشعر كهدية لامرأة أخرى، وليس للأرملة القتيلة باردويل، لأن باردويل ذات شعر بني، وليست شقراء. وهكذا ظلت الأفكار تراوده حتى وصل إلى بيته، وقبل أن يولج المفتاح الباب توقفت سيارة أمامه، وترجل منها المفتش بايلز، وكذلك الشرطي تاد كاستلر، ودخل الجميع منزل هيلي.

أخرج تاد كاستلر رسالة من جيبه، ووضعها بين يدي الدكتور هيلي. تعرف الدكتور على الورقة، ولم تحتو الورقة رسالة ما، بل كانت وصفة دوائية، وقد وقعها كاتبها بالأحرف الأولى فقط، أما الورقة بالذات فهي من الورق الذي اعتادت السيدة باردويل أن تكتب رسائلها عليه.

أراد الشرطي الشاب عد الجهود التي يبذلها ومبادراته في التحقيق، وربما أدى إلى حصوله على تزكية وترقية في العمل، ولذلك قال:

- لقد ذهبت إلى صيدلاني قريب من منزل الضحية وأكد لي أنه يملك مثل تلك الوصفات التركيبية، لكنه لم يتعرف على اسم الطبيب الذي كتب الوصفة..

هز الدكتور هيلي رأسه قائلا:

- أفهم إذن أن طبيبا قد استدعي إلى منزل الضحية، بدليل أنه كتب اسم الأدوية على أوراقها الخاصة، وليس على وصف رسمية.. كذلك أفهم أن الصيدلاني المجاور لم يتعرف على اسم الطبيب عبر الأحرف الأولى من اسمه، وكذلك لم يتعرف عليه من خلال الخط.. إذن الطبيب ليس من الجوار وربما جاء من الطبيب للعلاج فقط وليس بسبب علاقة نسائية.

عبر المفتش بايلز عن شعوره بالحاجة إلى رؤية خادمة المنزل مرة أخرى، لقد أراد معرفة سبب استشارة السيدة للطبيب واستدعائه دون إعلام الخادمة، وربما كان الطبيب هو العشيق أيضا، وبالفعل ذهب الثلاثة إلى منزل الضحية وفتحت الخادمة الباب، ثم قادتهم إلى غرفة الاستقبال.

بدأ المفتش يطرح الأسئلة من جديد على الخادمة، وبينما كانت الأضواء تنعكس على وجهها الذي يضج بالماكياج الكثيف المبالغ فيه. هنا سرح خيال الدكتور هيلي.. تملك هذه الخادمة وجها جميلا وجاذبية، وبالتالي انجذب إليها عاشق السيدة باردويل، وهو الذي أهدى ديوان الشعر الغزلي إلى تلك الخادمة شيئا فشيئا أخذت الصورة تتكامل في ذهن الدكتور هيلي، ولذلك وجه سؤالا إلى الخادمة:

- إنك تنكرين قدوم الطبيب لزيارة سيدتك، أي أنها أخفت عنك آلامها وموضوع الطبيب، ولكن من الذي أحضر الدواء من الصيدلية المجاورة نحن سنعرف ذلك بالتأكيد من الصيدلاني نفسه.. لقد عرفنا اسم الصيدلية (صيدلية سمر)

بدأت الفتاة تضطرب، وصارت تضغط على المنديل في يديها.. إنها بداية التوتر واستفاد هيلي من توترها، ولذلك قال لها بسرعة:

- يجب أن تعرفي إذا قام إنسان بتقديم المساعدة إلى رجل آخر في ارتكاب جريمة فهو مدان مثله تماما في نظر القانون..

قالت الفتاة ماذا تقصد؟ فأجابها الدكتور:

- أقصد أنك متورطة في الجريمة وأنك عدت إلى الشقة لسبب واحد أنك تريدين معرفة مجرى التحقيق ومن أجل نقل الأخبار إلى صديقك.. إنه متلهف إلى معرفة رأي الشرطة والمحققين.. إنك مشتركة بالعمل تماما..

هنا همست الفتاة قائلة:

- يا الهي.. إنني خائفة..

فقال لها هيلي:

- معك حق.. يجب أن تخافي..

فجاة استعادت الفتاة قوتها، وأحكمت قبضتها على ذراع الكرسي، وانفجرت قائلة:

- (لم أكن أريده ان يفعل ذلك أقسم.. أقسم.. لكنها أهدرت الكثير من أمواله)

كانت رنة صوتها تنم عن الصدق والصراحة وتابعت تقول:

- (وإلى جانب ذلك، كلفته زوجته الشيء الكثير، مع أنها لم تكن تعيش معه، وقد توفيت قبل شهر)

هنا حاول المفتش الاستفادة من التوتر، وسألها:

- من هو؟ قولي لنا اسمه..

ولكنها رفضت أن تبوح باسمه.. فجأة دخل الشرطي تاد وهو يحمل كتابا في يده، وهنا صدرت من الفتاة صرخة، بل أنها وثبت نحو تاد.. قال الشرطي وهو يشعر بالحبور والانتصار:

- إنه ديوان أشعار براونينغ، لقد وجدته في الغرفة الثانية، وقد وجدت داخله وصفه دوائية، وهي تحمل التوقيع الكامل للطبيب: إنه (مايكل كورنول)

عندما سمع الدكتور هيلي ذلك الاسم شحب وجهه وصار يعيد ترديد اسم كورنول.. كورنول.. إنه عالم جرائم مشهور، بل إنه كان صديقا لهيلي ذات يوم، ولذلك اتجه فورا إلى المكان الذي يسكنه كورنول وسط حديقة مليئة بالأشجار، وعند المدخل الخارجي، وقبل أن يقرع الجرس، ظهر الرجل الذي يبحث عنه: الدكتور كورنول، وبصحبته رجل كبير وفتاة. صاح كورنول:

- هيلي..؟ إنني مندهش.. أهلا وسهلا..

ومد يده ليصافح هيلي، ثم عرفه بالشخصين الآخرين:

- هذا عمي الكولونيل كورنول، وهذه ابنة عمي الآنسة باتسي كورنول، وقد تمت خطوبتهما اليوم بالذات، وسيكون قرانهما قريبا..

ثم تابع قائلا:

- سنتجول في الحديقة قليلا، ثم نتناول طعام الغذاء سويا.. وعلى المائدة سنتكلم.. أشعر أن في ذهنك مناقشة طويلة..

أخذ الجميع يتجولون على المرج الأخضر، وبين أشجار الفواكه وقد تفتحت أزاهيرها وتسللت أشعة الشمس بين أغصانها لتعطي طيف ألوان بديع حقا، أما ذهن الدكتور هيلي فكان منشغلا في اتجاه آخر تماما؛ فهو لم يلحظ شيئا من ذلك الجمال، إنما كان يبحث عن خلايا النحل.. وها هو أخيرا يصل إلى مراده: إنه صف طويل من بيوت النحل المدهون باللون الأبيض، أما الفتاة باتسي كورنول فقد صارت تصدر عنها أصوات تعبر عن الدهشة لما تراه من مناظر بديعة، بل مناظر في غاية الروعة.. كيف لا، وقد وقع نظرها على بقعة من الزنبق الأحمر، وتوجهت باتسي إلى الزنبق بصحبة هيلي بينما كان عمها ووالدها يمشيان في اتجاه آخر..

وصل الدكتور هيلي والفتاة باتسي إلى بقعة الزنبق الأحمر، ولفت انتباههما وجود مستنبت زجاجي كبير، ففتحا الباب ودخلا إليه، وهكذا صارا في عزلة عن بقية البستان، ويا لها من مصادفة عجيبة وسط ذلك الصمت العميق.

فجأة صدرت من باتسي صرخة شقت سكون المكان في ساعة الصباح.. نعم، لقد صرخت بأعلي صوتها وهي ترى والدها والدكتور كورنول يركضان هاربين لأن حشدا هائلا من النحل يطاردهما بسرعة، ورأت والدها يتعثر في خطواته بينما لم يحاول الدكتور كورنول مساعدته.. لقد كان وجه الدكتور كورنول خاليا من كل تعبير، وكأنما هو وجه ميت خارج من القبور، أما الدكتور هيلي فقد قال كلمة واحدة: "إنه النحل..."

أخذت النحلات تهاجم المستنبت الزجاجي، وترتطم بجدرانه الزجاجية، وهي تود الولوج كي تلسع وتلسع وتلسع. وهنا التفت هيلي إلى الفتاة وصرخ فيها:

- تمددي على الارض فورا، ربما كان أحد ألواح الزجاج مكسورا، قد يتسرب النحل إلينا.

لكن الفتاة استمرت تصرخ مذعورة من أجل والدها، ولذلك قال لها هيلي:

- أنقذي نفسك الآن...

مضى وقت قبل أن يطير النحل بعيدا، وحضر المفتش بايلز ليقول:

- اعترفت خادمة السيدة باردويل أنها اتصلت هاتفيا بالدكتور كورنول صباحا، وأرادت تحذيره من الشرطة التي بدأت تشك أنه القاتل، ولكنها لم تتمكن من التحدث إليه..

كان والد باتسي الضحية الثانية، وها هو يحمل في حالة احتضار من الحديقة، كان من حق كورنول التفاخر بذكائه وبخطته العبقرية، ولكنه أدرك ان اللعبة قد انتهت، بعد أن كانت خطته تقترب من النجاح الحقيقي.

أخذ المفتش يشرح المسألة:

- السيدة باردويل مبذرة، وكثيرة الطلبات ولم ينقذ العشيق سوى أموال عمه، ولكن الظروف بدأت تتغير، ولو تزوج ابنة عمه، فسيذهب الإرث إليها، لذلك قرر التخلص من عمه ومن بنت عمه، وبالتالي يضع يده على الثروة كلها.

هنا أخذ الدكتور هيلي يكمل القصة:

- لذلك أصر على تلقيح الأب والفتاة ضد الزكام، وكذلك فإنه أراد تلقيح السيدة باردويل.. طبعا كان اللقاح مجرد غطاء للجريمة، وهكذا كانت لسعة نحلة واحدة كافية لقتل كل واحد منهم. لقد فهمت كل شيء عندما رأيت ذلك الحشد الهائل من النحل القبرصي وهو يطير في سماء الحديقة.. إنها خطة مدروسة بعناية.. إنه المستنبت الزجاجي كان رسول العناية الإلهية للحيلولة بين النحل القبرصي وبين لسع الفتاة البريئة، بالتالي موتها..

وجه فى الظلام

ميدو روبيرت اوستيس

(نشرت لأول مرة ١٩٠٣ م)

إنني رجل أعزب، ولدي من الموارد ما يكفيني لأستمتع بحياتي، فأمارس هوايتي بالآداب بالكتابة للصحف في المناسبات، وأقوم بالتقاط أفضل الصور الفوتوغرافية لمن يرغب من الأصدقاء. لا أجد بنفسي رغبة بالزواج في الوقت الحالي، وعموما فأنا شخص غير اجتماعي، وأحب أصدقائي القليلين. أدعى لورنس هين، وعمري اثنان وثلاثون عاما.

وفي هذه الأيام العصيبة ليس بمقدور المرء الهروب من مواجهة الحياة بكل ما فيها من متاعب. وأنا كغيري، خضت غمار الحياة بمآسيها وآلامها، وما سأرويه الآن ليس أغرب شيء مر بي.

ففي اليوم الثامن عشر من حزيران، ذهبت لاستقبال بعض الأصدقاء من عائلة (سيتويلز) الذي يقطنون في ساحة (بيركيلي)، وكان هذا من الوجبات المحببة إلى حد كبير.

بالمناسبة، كان لي صديق شاب يدعى (غرانبي مانارز) أتمنى لو ألتقي به مرة أخرى. كنت أعرفه جيدا، كانت أمه من الصديقات الغاليات العزيزات إلي فأوليته اهتماما، فهو شخص كريم ودود ذكي، ولكنه عصبي المزاج لدرجة تستطيع عصبيته إعاقة أفكاره النبيلة الطموحة، أمر بالخروج

من مسكنه تحت رعاية مربية عندما كان في السابعة عشرة من عمره. كانت السيدة (مانارز) بمثابة أخت كبرى لي، ساعدتني أكثر من مرة بشكل عملي إلى جانب الإرشاد والنصح.

وقد أوصتني بـ (غرانبي) والعناية به عندما كانت ممددة على سرير موتها، وهذا ما يدفعني لمعاملته وخدمته دون تردد ما وسعني ذلك.

قالت لي: "لا يغب عن بالك يا لورنس أنه أصغر منك بعشرة سنوات، ولا علم له بالحياة الإنكليزية، ولا بد أن تحيق به المخاطر بعد موتي، فساعده ما استطعت"، وأعطيتها العهد بأن أقدم له العون ما وسعني ذلك.

وقد حان الوقت الآن، وأصبح وحيدا على الساحة بعد وفاة والديه، وآلت جميع ممتلكات (كروفتوود) إلى الصبي، وعاد إلى البيت ليتدبر شؤون العمل هناك.

تلقيت رسالة من السيدة (ويلوبي) خالة غرانبي القاطنة في اسكوتلاندة يوم حفلة (سيتويلز) قالت فيها "إن ابن أختي في لندن، أجوك حاول أن تجده وتساعده فهو صبي غريب وليس أهلا لإدارة ثروة كبيرة مثل قاعدة كروفتوود. أرجوك ابذل ما بوسعك وأخبرني"

وبناء على ذلك ذهبت إلى (سيتويلز) للبحث عن الشاب (مانارز).. وصلت في الوقت المناسب، فالمنزل ملئ بالضيوف، توجهت

تحدوني السرعة لمقابلة غرانبي مانارز. كان ذا وجه مشرق ومظهر أنيق وأسلوب رشيق.

أخبرني بأنه سعيد برؤيتي؛ فقد ذكرته بالأيام الخالية، وأخذ بيدي نحو غرفته لنتجاذب أطراف الحديث. خرجنا إلى شرفة مفتوحة فيها بعض الكراسي. قلت: "تبدو رجلا يا غرانبي، وقد أصبحت في الثانية والعشرين من العمر، ويجب أن تكون يداك منهكة بالعمل الآن يا ولدي بتلك الثروة الكبيرة"

أجاب: "في الحقيقة إنني على عجلة من أمري، كما أجد صعوبة في العناية بها. أريد أن أراك في أي وقت تشاء".. قلت فجأة وقد لمست نبرة عصبية في صوته وهو يتكلم، مصاحبة بحركة سريعة متوترة من راسه: "ها هنا كرسيان.. اجلس يا عزيزي، فيبدو أن لديك الكثير تود قوله".

أجاب: "حسنا لدي حديث طويل. لقد ترك والدي أمورا معقدة، بدات تتحلحل شيئا فشيئا.. ماذا أقول؟..." "تنازعني مشاعر الخوف والأمل، ولكنني مصمم على تحديد يوم الثامن عشر، لا بد لي من معرفة ذلك قبل مضي اليوم الرابع والعشرين من هذا الشهر".

سألته بدهشة: "ما الذي تعنيه بذلك؟"

أجاب: "سأخبرك عندما أستطيع أن أجد الوقت المناسب الهادئ، فأنا لا أستطيع أن أنبس بكلمة في هذا الزحام"، واستدار خلفه بنظرة خاطفة واجفة.

دعوته الي العشاء مساء الغد، فأشرق وجهه بالسرور، وكان على وشك أن يجيب بالقبول عندما اقتربت منا فتاتان أنيقتان غريبتان عني تماما، بدا أن غرانبي يعرفهما، فقد فاض وجهه بالحيوية، وظهرت السعادة والفرحة في عينيه ورحب بهما وخاصة بالأصغر والأكثر رشاقة، بعاطفة حارة.

قال: "حسنا، لقد كنت أتحدث لتوي مع صديق حميم واسمحا لي بتقديمكما إليه".

وبعد دقيقة كنت أصافح أروع فتاة في إنكترا كلها. اسمها أنجيلا ديكنسون، ابنة محام مشهور جدا. جاءت بمفردها لمقابلة مانارز فهما صديقان حميمان، تقابلا في الخارج.. تبادلا الابتسام والتحية، وانتحيا جانبا. وجلست الفتاة الأخرى، واسمها موربيل لتشاركني الضيافة. قالت:

"إنني سعيدة جدا أن السيد مانارز بصحة جيدة؛ فقد كان مضطربا جدا عندما رأيناه في (نابولي)، إنني أشعر بالارتياح والاطمئنان لأنه قابل صديقا عزيزا مثلك".

أجبتها: "نعم، عرفت غرانبي منذ صغره، كانت والدته من أعز أصدقائي، مر بطفولة حزينة، وأظن أن الجميع على علم بوضع والده

(حيث كانت هناك إشاعات عن أعمال غامضة رذيلة قام بها، كما أدلى بعضهم بأنه كان نصف مجنون، لكنه ميت الآن".

أومات برأسها، ونظرت بحزن، بينما تابعت حديثي:

"أتوقع أن عيب مانارز الوحيد شدة حساسيته".

أجابت: "نعم"، واتبعت نظراتها نحو صديقتها، وهما يقفان معا عند طرف الشرفة الآخر. إن إعجابهما ببعضهما ملحوظ إلا أن مانارز لم يتقدم لخطبة أنجيلا بشكل رسمي"

استأذنت بعد ذلك، وتوجهت نحو المنزل للقيام ببعض الأعمال التي شغلتني تلك الليلة فاعترضني الشاب (مانارز) قائلا:

"هل أستطيع المجئ الليلة عوضا عن ليلة الغد؟ ولا داعي للعشاء فإنني أريد التحدث معك"

طلبت منه أن يزورني الساعة التاسعة تقريبا، فأومأ بالقبول.. وصل في الساعة المحددة مرتديا لباسا أنيقا. قدمت له غليونا وجلسنا ندخن بصمت دقيقة أو أكثر.

قلت فجاة – حين شعرت أن علي بدء الحديث – "لقد راودتني بعض المخاوف عندما كنا في الشرفة، لكن الآنسة ديكنسون بددت مخاوفي، وأهنئك يا مانارز من صميم قلبي على ذلك الاختيار" ضغط على يدي لكنه لم يتكلم، ثم تابعت بعد هنيهة:

- "أتوقع أن تعلن الخطوبة في أسرع وقت"..

- "نحن لسنا مخطوبين رسميا. إذا حدث ذلك فسأقوم بنشر الخبر في العالم كله لولا وجود صعوبات كثيرة ورهيبة تتعلق بمن سأحدثك عنهم"

- "حسنا تكلم يا بني، فكلي آذان صاغية، لا بد أن نصل معا إلى حل مناسب".

قرب كرسيه مني وابتدرني بالسؤال:

- "متي كنت آخر مرة في كروفتوود؟"

- "منذ وفاة والدتك. لقد تركت المكان مظلما وبإمكاننا إعداده بشكل أفضل، بتجديد البناء وتزيينه وقطع الأشجار لتهوية المنزل بشكل أفضل، فلا يبقى بذلك المنظر المزدحم، وأنا متأكد من أن أنجيلا هي الفتاه المناسبة والتي ستسعدك في ذلك المكان"

- "لا أخفيك حبي لهذا المكان بعينه فهو منزل عائلتي منذ مئات السنين إلى جانب خوفي منه واضطرابي فيه.. هل سمعت بشيء كهذا؟"

أجبت متحيرا من لهجته: "لا"

- "كان هذا منذ زمن بعيد، كان والدي في الخارج بينما كان يتوجب على والدتي الذهاب للبحر طلبا للاستشفاء، وكما تعلم فالبيت قديم جدا وغالبا ما يكون مسكونا بالأشباح، لهذا سافرت وتركت البيت"

أجبت بحرارة:

- "نعم، فمعظم الأماكن القديمة كذلك، ولكن التحدث عن الأشباح في هذا الوقت يعد ضربا من الجنون أو الهراء".

قال بارتعاش:

- "يؤمن بعض الناس بوجودها.. حسنا دعني أخبرك. لقد أرادت أمي اصطحابي معها ولكن والدي رفض، كم كان غبيا!!".

- "اصمت.. إنه ميت".

- "سأقول الحقيقة سواء أكان ميتا أم حيا. إنه غبي. أكرهه وأقدس أمي؛ فقد أصبحت وحيدا بعدها. كنت ولدا كبيرا في الخامسة عشرة وفي ذلك الوقت بكيت على نفسي، إذ كان البيت وحيدا مرعبا، خاليا إلا من خادمين فقط، تارينغ العجوز وهو كبير الخدم وما زال حتى الآن، والطباخ.. أغلقت نصف الغرف، مرت الأيام عصيبة والأمسيات طويلة مملة.. لم يكن لدي أي كتاب للقراءة، فقد أقفل والدي المكتبة، ولا صديق أتحدث إليه، وكان هذا كله سببا كافيا لفرط حساسيتي وفقداني النوم. صار من عادتي أن أتجول في البيت القديم منتصف الليل، وذات ليلة كنت متعبا جدا لدرجة لم أستطع تناول العشاء.

تملكتني نوبة من القلق والوهم فأصبحت أتخيل أشياء أنى نظرت. عندما رجوت تارينغ أن يبقى بصحبتي، كما تعرفه طبعا، فهو رجل مسن منحن، ذو أنف معقوف كالمنقار. أتاني مرة في غرفتي ووجه إلي الكلام قائلا: "سيدي غرانبي، إذا استمر بك الحال هكذا فستصير مجنونا لا محالة" سالته برعب: "ماذا تعني؟" أجاب: "أخشى عليك من الجنون، فلا تنس أن الجنون شيء متأصل في العائلة.. أتذكر عمك ذاك الرجل الأنيق العظيم المعلقة صورته في المكتبة؟ كن حذرا، إن شابا في مثل مركزك ينبغي أن يكون سعيدا يأكل بشهية وينام بهدوء.. اسمع نصيحتي يا سيدي، ولا تشغل بالك بالخيالات والأوهام، وإلا فسوف يفلت الزمام من يديك"

خرج بعدها رافضا البقاء معي بحجة أن وجهي يوحي بالكآبة، وهو يفضل صحبة الطباخ في المطبخ. ظننت انه بمقدوري أن أرمي حزني وأنام، غطيت نفسي، لكن دون جدوي. هل تتذكر صورة المدخل (البهو) في كروفتوود يا هين؟".. أجبته: "طبعا إنها أرض تحتل الجناح الغربي من المنزل، تتصل بالكنيسة من طرف، وبقاعة الطعام من الطرف الآخر. اضطجعت غير أن عيني ظلتا مفتوحتين وقلبي يدق كمطرقة، وأفكاري تدور حول عمي المجنون.

تذكرت فجاة أن اسمه (غرانبي مانارز)، وراودتني رغبة لا تقاوم بالنظر إليه؛ فانتصبت واقفا وأمسكت بالشمعة في يدي. نزلت إلى

المنزل القديم ووقفت في البهو حيث الفتحات العميقة قرب النافذة ذات الأعمدة.

وما أن اقتربت من الصورة الموجودة في نهاية البهو قرب الكنيسة، حتي رأيت شخصا واقفا في الظلام يرتدي الملابس السوداء، واضعا القلنسوة على رأسه، ثم تلاشى أمامي كل شيء فوليت الأدبار هاربا، إلا أن المنظر ظل ماثلا في ذكراتي بوضوح، وكأنه حدث البارحة بعد أن أدلى إلي بقوله: "غرانبي منارز!! ستموت في هذه الغرفة" وكان مادا يديه إلي.

جذب صراخي الرجل العجوز (تارينغ) فنقلني إلى غرفة نومي واستدعى الطبيب.

قضيت عدة أسابيع في الفراش بسبب حمى أصابت رأسي. تحسنت صحة والدتي وعادت إلى المنزل فأخبرتها بما رأيت كانت مفعمة بالحنان فما كان منها إلا أن أرسلتني للخارج برفقة مرشد، وصرنا نتنقل من مكان إلى آخر حتى نسيت قلقي واستعدت قوتي ثانية إلى أن وصلني النبأ المزعج بوفاة والدتي – هذا يعني أنني لن أرى حبيبتي مرة أخرى – فهويت على الأرض وصممت ألا أعود إلى إنكترا لولا الدعوة التي وصلتني بعد وفاتها بأسبوعين من المحامين يلحون علي بضرورة عودتي، لأتمكن من إدارة الثروة التي آلت إلي.

سألته: "وهل رويت هذه القصة الغريبة للآنسة ديكنسون؟"

- نعم، إنها علي علم بكل شيء إذ ليس بإمكاننا إعلان الخطوبة ما لم يتوضح كل شيء وإلا فسأضطر للابتعاد عنها، ولو كان صعبا علي، فليس بمقدوري التقدم لخطوبة فتاة لا أستطيع إعالتها".

قلت: "هذا محض هراء تمتلك قاعة كروفتوود، هذا يعني أنك ذو أموال طائلة".

أجاب: "هذه مشكلتي بعينها يا هين فهناك تعقيدات كثيرة تحوم حول الثروة سأسردها عليك قريبا، وبما أننا نتحدث عن الأوهام والتخيلات، فاسمح لي أن أحدثك بشيء آخر: سمعت طبعا عن شجرة الدردار في كروفتوود!"

أومأت برأسي: "هناك خرافة حولها منذ القدم تقول أن غصنا من هذه الشجرة يسقط دائما قبل وفاة صاحب المنزل". كنت في كروفتوود الأسبوع الماضي، وراعني منظر المزارعين يرمون بالغصن الكبير الذي سقط من الشجرة قبل وفاة والدي بيومين.

قلت: "حسنا لا تفكر بذلك فهي لا تعدو أكثر من كونها مصادفة؛ فالرياح العظيمة تقتلع الأغصان من الأشجار القديمة.. أليس كذلك يا مانارز؟ إنني أشعر بالخجل لاعتقادك تلك الخرافات، ولكن أخبرني بربك متى ستعود إلى كروفتوود مرة أخرى؟"

- "غدا"

- ماذا؟ غدا؟ هل تأذن لي بمرافقتك؟

قال: "حقا ستأتي معي؟!!"

تهلل وجهه بالسعادة وتلفظ بعبارات الغبطة والارتياح.

- سيكون بولتيمور هناك إنه رجل مخيف، ترهن عنده الممتلكات

صرخت به: "وهل سترهن (قاعة كروفتوود)"

- "نعم، سترهن القاعة بما فيها، إنني جاد فلا أحب أن أكون فقيرا"

ثم قام واستاذن بالانصراف مباشرة وقال على عجل: "سأخبرك بكل شيء غدا".

قابلت الصبي غرانبي في (ووترلو) اليوم التالي وصلنا إلى كروفتوود بعد الساعة السادسة، كان يوما مشرقا معتدلا، قدنا العربة عبر الحديقة ذات الأشجار الصيفية الخضراء فداخلتني ذكريات كثيرة.

وقفت العربة عند الشرفة حيث كان كبير الخدم (تارينغ) بانتظارنا، لم أر رجلا عجوزا منحني الظهر بهذا الشكل، كان له أنف معقوف، وأظافر كالمخالب، فبدا لي أشبه ما يكون بطائر النحس (الغراب) رمقنا بنظرات حادة من عينين ثاقبتين كالإبر.

ومع أن الأيام نالت من شكل تارينغ الخارجي إلا أنه مازال متمتعا بقواه العقلية.

سأله منارز: "هل هناك رسائل أم لا؟" أجاب الخد: "لم يأت البريد بعد يا سيدي"

"حسنا يا تارينغ، فالسيد هين جاء ليبقى معي. جهز الغرفة له والآن يا هين دعنا نتجول قبل العشاء.. ألا يبدو المكان جميلا؟"

بالمناسبة لم تلتق بعد بالسيد بولتيمور أنه صديق حميم لوالدي سأخبرك إلى أين وصلت بي الأمور بل رؤيتك له"

تجولنا خلال الحدائق وحدثني غرانبي:

"إن الوضع أسوأ مما تتوقع لا أحد يعلم بالضبط كيف كانت حياة والدي، ولكن مما لا شك فيه أنه ظفر إحدى الليالي – عندما كان في لندن – بقضية معقدة للغاية وكان من الضروري حصوله علي عشرين ألف ليرة، تلك الليلة، وإلا فإنه سينتحر حصل على المبلغ بطريقة ما من السيد بولتمور – تاجر الجواهر في المدينة – مقابل رهن كروفتوود، بذلك ضمن السيد بولتيمور أمواله. كان على والدي أن يدفع ١٠ % فائدة على القرض، وقد بلغت الفوائد المترتبة حتى الآن عشرة آلاف ليرة يجب دفعها نهار عيد ميلاد يوحنا وإلا – حسب قانون الرهن – فمن حق بولتيمور الاستيلاء على الممتلكات التي لا يقل ثمنها عن مائة ألف ليرة، وهناك ناحية أخرى لم ألفت نظرك إليها، وهي أن الفائدة لو دفعت بانتظام فلن يتبقى لي سوى مكان أعيش فيه، ويؤول كل شيء ملكا لبولتيمور وورثته، بينما يحرم أولادي من كل شيء بعد وفاتي انظر في أي ظروف أريد أن أنتقم لأنجيلا لتكون زوجة لي".

سألته: "أليس هناك وسيلة للحصول على النقود؟"

أجاب: "لا، اشتركت مرة ببعض الأسهم في منجم ذهب ولا ريب أنها ستدر علي ربحا وفيرا في وقت ما ولكنني لا أتخيل أن أحدا سيقف جانبي مادا لي يد العون".

أجبت "أرى أن من مصلحة بولتيمور ألا تقدر على دفع الحساب يوم ميلاد يوحنا لأنه سيمتلك مكانا يعادل مائة ألف ليرة مقابل عشرين ألف ليرة"

أوصلنا تجوالنا إلى شجرة الدردار القديمة وصرخ مانارز:

"آه.. انظر بنفسك، فهنا وقع الغصن قبل وفاة والدي"

مشينا على الأعشاب باتجاه الشجرة وقفنا تحت الشجرة تماما، وانحنى الغصن الكبير حتى كاد يلامس أقدامنا. شحب وجه غرانبي وصرخ:

"غصن مقطوع.. غصن آخر، ماذا يعني هذا؟!"

قلت: "ليس أكثر من عاصفة قوية".

أجاب بسرعة: "ألا تعرف أن غصن شجرة الدردار يسقط دائما قبل موت صاحبها وأنا صاحبها الحالي! فإلى ماذا يشير ذلك؟!"

"هلم إلي، ولا تكن سخيفا... وقبل أن أتم جملتي، ارتفع صوت عال بين الأشجار رنوت ببصري لأستطلع القادم فإذا به شخص طويل القامة قوي البنية يقترب منا بسرعة.

هتف: "أهلا غرانبي، هلا تفضلت.. تبدو متوعك الصحة ذا لون باهت فما الأمر؟"

"لا شيء، شكرا لك دعني أقدم لك صديقي السيد لورانس هين، السيد بولتيمور".

رفع بولتيمور قبعته فكشف عن وجه كريه قبيح لم أر شبيها له من قبل، نظر إلي بازدراء ثم التفت إلى الشاب غرانبي وسأله بحدة: "هل سيقيم صديقك هنا؟"

أجاب غرانبي بصوت منخفض: "بالتاكيد إنه ضيفي"

ضحك بولتيمور بسخرية: "ضيفك! حقا هل وصلتاك الرسالة؟"

"لا، ربما تصل في البريد المسائي"

قال بولتيمور: "إنه لن يصيبك القلق بعد أن تستمع ذلك؟"

رمقني عابسا، واستدرنا متوجهين نحو البيت.

وعندما كنا نلج الباب اقترب تارينغ وقدم لـ "مانارز" رسالة في ظرف أزرق هتف مانارز: "آه ها هي"

تنحى جانبا، وكانت أصابعه ترتجف، راقبه بولتيمور، بسعادة غامرة وسال من فوره: "حسنا ما الأخبار؟".. قال غرانبي: "أخبار سعيدة لك سيد بولتيمور، لا حاجة للكتمان"، ثم إلي ثم إلى الرجل الآخر". وقال: "لا يمكنني دفع الدين وسيكون المنزل منزلك بعد أربعة أيام".. رفع

بولتيمور يده وخبط على فخده بقوة ثم قال: "مع أسفي الشديد لوضعك يا مانارز، إلا أنني لا أستطيع إخفاء سعادتي، لا بأس عليك يا سيد هين، ولكنني سأختار ضيوفي المنتخبين عندما تؤول الثروة إلي.. أتفهم يا سيدي؟! سأغادر الآن إلى القرية، فلا تنتظرني على العشاء"

غادر المكان بخطى سريعة، وأغلق الباب الثقيل وراءه. استدار مانارز نحوي وقال: "يا له من وغد!! ولكن على رسلك يا هين من أجلي".

"يا غلامي العزيز، إن بولتيمور لا يهمني إلا بما يتعلق بك من أمور.. أرني تلك الرسالة".

"لا اعتقد انه سيحدث أسوأ من ذلك".

ثم أعطاني الرسالة وقرأت محتوياتها كما يلي:

"سيدي العزيز: نأسف أن نخبرك بعدم القدرة علي دفع المبلغ، لن يتمكن شركاؤك من مد يد العون لك. وستنتقل الثروة الى بولتيمور – نهار عيد يوحنا".

صرخت: "سنجد وسيلة لمنع ذلك بالتأكيد"، ولكن كيف له ذلك وهو لا يمتلك أيه خبرة في إدارة العمال؟!.

أمضيت تلك الأمسية بالتفكير المكثف، إلى أن خطرت لي فكرة استشارة السيد ديكنسون والد أنجيلا، وقررت إخبار غرانبى بذلك الحل

الذي خطر لي. فقلت: "إنك بحاجة لصديق في هذه الفترة، لو كنت أملك مبلغا كهذا لأقرضتك إياه بكل رضى، فما رأيك بذهابنا إلى لندن غدا واستشارة السيد ديكنسون والد أنجيلا؟"

صرخ: "ماذا؟ والد انجيلا...؟"

"هو بعينه".

بدا غير مرتاح للفكرة وأخذ يجول في الغرفة، ثم قال: "لن تخبره عن والدي بالتأكيد"

"والدك.. عليك أن تترك ذلك لي، ومهما تطورت الأمور فلن يكون الوضع أسوأ من هذا ومن المستحيل أن يحتقرك ديكنسون بسبب ابنته".

غطى المسكين وجهه بيده وتأوه، قلت: "سأبذل قصارى جهدي في الصباح، أما الآن فاجلس هنا وانتظر الأحداث".

شعرت بالأسف على عدم اصطحابي إياه. لكن كيف لي أن أتنبأ بالمصير الرهيب.

وصلت المنزل بعد الساعة الحادية عشرة، واتصلت بديكنسون ليأذن لي بزيارته؛ فوافق، وزرته بعد العصر في منزله.

دعاني والد أنجيلا لتناول الغذاء معه وأثناء الغذاء، أخبرته بكل النقاط المهمة من الأحداث. وبعد أن استمع إلى القصة، اعتدل في جلسته وقال: "هل ذكرت لي القصة كلها؟.. هل أخفيت شيئا؟" وهنا

قلت له: "هناك شيء واحد لم أذكره لك، وهو أن السيد مانرز يحب ابنتك أنجيلا بصدق، ويأمل أن يكون بالنسبة لها ذلك الزوج الطيب والمستقيم".

قال ديكنسون: "سأستشير المحامي الخاص بي. وأريد منك أن تذهب للسيد ووينتج، ليس هناك وقت، يمكنك أن تشرح له الأمور.. يجب أن لا نضيع دقيقة واحدة، إن الموعد المحدد صار قريبا جدا، ولا يفصلنا عنه سوى أربعة أيام، واذا انصرف قبل الموعد فسيحدث الشيء الذي نخشاه وستضيع الثروة".

كان ووينتج مشغولا في أعماله، وهو رجل نشيط حقا وعندما تراه في عمله تظن أنه ليس رجلا واحدا، بل عدة رجال يعملون، وعندما قابلته لأول مرة أعطاني موعدا للقاء في اليوم التالي. جئت اليه في اليوم التالي، ولم أستغرب أنه درس الموضوع، بل عمل تحريات عن وضع بولتيمور من الناحية المالية، ودرس حالة رصيده المالي، ولخص الأمر في نقطة واحدة: (يجب أن ندفع الشيك قبل حلول الموعد النهائي، وإلا ضاع كل شيء) قرر صاحبنا أن يعطيني الشيك، وأنا بدوري سأوصله إلى بولتيمور. وأستلم منه المستندات في المقابل.. وهكذا جلسنا سويا لنرتب الأمور، وشعرت أن الغمة قد انزات عن صدري، وأن الأزمة أوشكت على الانفراج.

عدت أدراجي إلى المنزل، وأخذت أستنشق الهواء العليل بسعادة غامرة. كنت في تلك اللحظة أشعر بالسعادة الغامرة، لذلك راودتني فكرة

إرسال برقية إلى غرانبي كي يشعر بالابتهاج ويطمئن على سلامة سير الأمور، وبالفعل أرسلت إليه قائلا: (لقد تم تامين النقود – سننزل مع المحامي غدا. التوقيع لورنس هين)

أمضيت الساعات الباقية من ذلك اليوم كالمعتاد، وعندما جلست لتناول طعام العشاء لمعت في رأسي فكرة مرعبة. وقفزت واقفا وأنا في حالة من الذهول لأني ارتكبت خطأ.. وقلت لنفسي:

لقد كان من الخطأ أن أرسل تلك البرقية إلى غرانبي. وأخذت أتصور في ذهني مجرى الأحداث؛ فالبرقية سوف تصل إلى غرانبي، وهو بدوره سيطير من الفرح، وسيخبر بولتيمور، ولذلك سيشعر بولتيمور بالغيظ وخيبة الأمل..

لن يتحمل بولتيمور الخبر الجديد، وهو يتطلع إلى امتلاك كروفتووود، ولن يسمح لأحد أن يقف بينه وبين تحكقيق هدفه، حتي لو اضطر إلى القتل.

تذكرت الغصن المقطوع، وتذكرت تشاؤم غرانبي وأفكاره حول الموت، وبدا المشهد داكنا جدا في مخيلتي.

يعرف بولتيمور تماما أن موت غرانبي قبل الموعد المحدد سيحقق له مكسبا عظيما، وستؤول الملكية إليه؛ لذلك يجب أن يموت غرانبي قبل ذلك الموعد أي خلال ساعات قليلة.

بدا الوضع مرعبا ويائسا، وأنا طالما حلمت وعملت على مساعدة ذلك الفتى غرانبي، وطالما عملت علة تحريره من المصاعب.. ها أنذا أقرب موعد موته.. إن البرقية – عندما تصله – ستحمل إليه المنية.. يا إلهي.. إن الفتى في وضع مرعب.

فقدت الرغبة في أي شيء، وصار هاجسي الوحيد العثور على وسيلة نقل سريعة كي أصل إلى غرانبي وأكون إلى جانبه في الساعات القادمة، وتمكنت من اللحاق بالقطار، وكانت تلك أسوأ ساعات حياتي. بدا القطار لي – وهو ينطلق بسرعة – كأنه يزحف زحفا، وكنت أشعر لدى وقوفه في المحطات وكأن جبلا يجثم على صدري. وأخيرا وصلت إلى كروفتوود، وكان ذلك في منتصف الليل، ومع ذلك لم أستطع انتظار عربة أو أية وسيلة تقلني إلى البيت، بل انطلقت أمشي، لم يكن يؤنسني سوى القمر الذي يطل من خلف الغيوم.

وصلت أخيرا إلى البيت، ولم ألحظ أي نافذة مضيئة، وعندما فكرت في الموقف هنيهة قررت أن لا أدق الجرس، بل قررت التسلل عبر الشرفة إلى غرفة غرانبي.

وبينما كنت أمشي سريعا نحو البهو، والظلمة تلف المكان، سمعت صوت تنفس عميق.. نعم.. تنفس عميق.. بدأت دقات قلبي تتسارع وتتسارع، توقفت هنا، وبدأت عيناي تعتاد على الظلام المحيط، ويا للهول.. فقد شاهدت وجه إنسان مقابل ساقي.. يا إلهي.. إنه إنسان مشنوق من ساقيه، ولم أستوعب الأمر للوهلة الأولى.

وبعـد دقيقـة، وربمـا أقـل مـن الدقيقـة، بـدأت أسـتوعب الوضـع.. المشـنوق هـو الفتـى غرانبـي.. وهـو لا يـزال علـى قيـد الحيـاة، ولكنـه سيموت حتما لو بقي على هذا الوضع.

وفجاة دخل بولتيمور المتوحش عبر الباب، والشمعة مضاءة في يده، ومن خلفه كان الخادم النذل، وصرخت بأعلى صوتي: "مجرمون.. قتلة.. لن تفلتا من العقاب".

هرب بولتيمور، وجاء الخادم — وهو يرتجف من الرعب — ثم فك الحبال عن قدمي غرانبي الذي احتاج إلى وقت طويل حتى يستعيد وعيه ويتخلص من شحوبه.. وبعد عدة ساعات، صار غرانبي قادرا على رواية الأحداث: "لقد وصلتني برقيتك يا سيد هين، ورآها بولتيمور في يدي، فانـدفع نحـوي وقرأهـا، وعنـدها تحـول إلـى ثـور هـائج، ولـم أجـد وقتـا للإفلات منه؛ فقد ساعده الخادم ضدي، وحملاني معا إلى البهو. أظن أنني فقدت الوعي، ثم أفقت لأجد نفسي مقيدا. ثم أنهما علقاني من ساقي إلى السقف. إنه ألم شديد، لا يمكنني وصف ذلك الألم.. يا إلهي"

أخبرنا الطبيب أن الموت كان محتما لو طال الأمر، وذلك بسبب الاحتقـان الهائـل فـي الـدماغ، وأن هـذه الطريقـة فـي القتـل مـاكرة تمامـا؛ فـالموت فـي هـذه الحالـة لا يتـرك أثـرا يـدل علـى الفاعـل، ولـن يسـتطيع طبيـب معرفـة طريقـة القتـل. والآن يقبـع بولتيمـور والخـادم فـي السـجن بانتظار المحاكمة، وربما صدر عليهما الحكم بالأشغال الشاقة.

أما غرانبي، ذلك الفتى المدلل، فقد تعلم الكثير بعد أن خاض تلك التجربة المريرة، وها هو على وشك الزواج بأنجيلا ديكنسون، أما أنا فأشعر بالفرح الغامر، إذ استطعت تقديم خدمة للأصدقاء، وأنقذت ذلك الفتى من ميتة فظيعة.

جريمة قاعة هانوفر

سير باسيل ثومسون

(نشرت لأول مرة عام ١٩٢٥)

انقضى أسبوع منذ أن أفسد السيد بيبر والصبي الصغير مخطط السيد كوهين، ولم يعد أحد يقترب من مكتبه، ويقضي الآن رئيسي (السيد بيبر) معظم وقته في إتمام أجهزته العلمية والتي لم يستخدمها خلال معاشرتي القصيرة له، لكن سرعان ما ألقت إلي المصادفات فرصة عظيمة لاختبار المواهب الفنية العالية للسيد بيبر.

فقد اقترب مني أحد زملائي في النادي لدى مشاهدته إياي، وأنا أدخن وحيدا واحتل الكرسي المقابل قائلا:

- "بالمناسبة يا جونز سمعت أنك ضليع في أعمال التحري وقد كشفت النقاب عن جريمة غامضة أقضت مضجع سكوتلانديارد طويلا، فلماذا لا تبرز اسمك بحل قضية قاعة هانوفر؟"

- لم أسمع بها قط

- "كلا.. فهي لم تأخذ طريقا إلى الصحف بعد، لكنها ستنشر".

لقد سمع بهما هذا الصباح فقط، فمالك البيت له أخت تملك قاعة هانوفر، وقد فتحت أمتعة أحد المستأجرين لكونه متخلفا عن دفع

الأجرة، فإذا بها تصعق وتصاب بذعر شديد حين وجدت في رزمة كبيرة ما يبدو بقايا كائن بشري، فما كان منها إلا أن ركضت إلى أخيها الذي استشار صديقي عما عساها تفعل؛ فقام كالعادة بإبلاغ الشرطة، لكن حسب ما يعرفه فهي لم تبلغ الشرطة بعد، ثم أعطاني عنوانها.

أمسكت بقبعتي وأقلتني سيارة أجرة إلى قاعة هانوفر، فوجدت المالكة المسكينة وهي تضرب كفا بكف

- "سمعت بالقضية من أخي يا سيدي؟.. حسنا إنني سعيدة لقدومك في هذا الوقت الحرج، كنت على وشك الاتصال بالشرطة، لكن هذا سيفسد عملي تماما، فوجود الشرطة في البيت تسأل هذا وتفتش البيت ثم تدعوني إلى المحكمة كشاهدة، ثم تكتب الجرائد عني وعن العنوان، عندها يفقد أية فرصة للحصول على مستأجرين من الطبقة الأولى، فمن سيقبل الإقامة في مكان حصلت فيه جريمة؟.. هذا غير لائق، والآن إذا أخذت الرزمة ومسؤوليتها سأتنفس الصعداء، طبعا إذا كان في الأمر جريمة، فسأتدخل، لكن عالج الأمر مؤقتا بعيدا فلا أرغب بسماع شيء عنه

وافقت على الموضوع شرط أن تزودني بالمعلومات التي بحوزتها؛ فقامت بعرض الرزمة في الطابق الثاني علي، ففتحتها بأصابع مرتجفة.. كانت تحتوي على عدة ربطات ملفوفة بورق جرائد متسخ، وما يبدو أنها بطانية عسكرية قديمة، ثم تأكدت من وجود العظام البشرية بداخلها.

ساعدتي العجوز على حمل الرزمة إلى الطابق الأرضي لشحنها إلى مكتبي، خلال هذه الفترة سردت علي قصة المستأجر.

- لقد كان كما يقال غريب الأطوار – فهو يخرج دائما دون ترك ملاحظة – يرسل إلي خطابات للمحافظة على غرفته وأمتعته، كما يرسل لي أجرة غرفته بالبريد أثناء غيابه. كان يكتب من كل بقاع نابولي – مصر – أثينا، وقد تسلمت رسالة منه من البيرو – لم اكن أعلم موعد قدومه قط – وكل ما كان يقوله أنه كان في جولة عمل وعلي أن أطمئن وأعتني بقطته

- لم تخبريني باسمه يا سيدة أوجير.

- الحق أني نسيت كنا ندعوه "الدكتور" لأنه عند قدومه للمرة الأولى منذ خمس سنوات ذكر لي شيئا ما عن ممارسته لمهنة الطب، ولكن اسمه الحقيقي "هنري إلين"

- يبدو إنكليزيا

- أوه، ليس فيه شيء أجنبي سوى شعره؛ فيبدو وكأنه لا يحلق أبدا شعره وغرابة أطواره، فإن الأجانب غريبو الأطوار، أليس كذلك يا سيد جونز؟ عمره؟ حسنا! إنه بين الثلاثين والخمسين من العمر كما أعتقد

- أليس له أصدقاء زوار؟

- ذلك هو الشيء الغريب، لا أحد.. لا، لقد نسيت قبل ثلاث سنوات جاءت سيدة وسألت عن الدكتور إلين، فسألتها عن الاسم الذي أقدمه له، قالت: لا عليك، أخبريني فقط في أي طابق هو، وسأذهب إليه بنفسي، ثم صعدت إليه، ولكن على ما يبدو سمع صوتها فقد هبطت بعد قليل قائلة أنه غير موجود، وعندما ذهبت بنفسي كان في غرفته مختبئا تحت السرير لم يقل شيئا عن الموضوع، أعتقد أنها زوجته، لكنها لم تعد ثانية على ما أعتقد.

- وهل كان يتلقى رسائل؟

- نعم، واحدة كل شهر في اليوم الثاني من الشهر بالتحديد، تأتي رسالة ضخمة كتب عليها: هنري إلين ي. س. ك، دون كلمة دكتور. أعتقد أنها من البنك، ولكن لا أذكر أي بنك هو لم يكن يتناول طعام قط هنا، حتى وجبة الإفطار، لكنه اعتاد إحضار القليل من اللحم لقطته. أين كان يمضي النهار؟ هذا ما لا أعرفه يا سيدي.. طوال أيام الأسبوع، كنت أسمعه نازلا في الساعة التاسعة تماما، حتى أني كنت أضبط ساعتي عليه، فيمر بي قائلا "صباح الخير" فقط، أما في أيام الآحاد فكان يظل مستلقيا في السرير حتى الحادية عشرة.. أوه.. كان غريب الأطوار، لكن ليس بدرجة ارتكاب جريمة وحشية؛ فهذه جريمة وحشية يا سيد جونز أن تقطع أوصال شخص ما بهذا الشكل.. أليس كذلك؟

- متى رأيته آخر مرة؟

- في نيسان الماضي قبل ثلاثة أشهر خرج من المنزل كالمعتاد وعندما ذهبت لتنظيف الغرفة وجدته قد حزم كل شيء برزم، فقلت لنفسي سيرحل ثانية وهذا ما كان، لكن هذه المرة لم تصلني منه أية رسالة، ولم يرسل لي أجرة الغرفة، ولم يترك وراءه ولا قصاصة ورق تكشف الأمر ترك ثيابا قديمة وهذا الذي تراه

- والرسائل من البنك؟

- هذا هو الشيء المحير كلما سافر تتوقف هذه الرسائل، لم تصلني أية رسالة منذ مغادرته هل تظن أنه انتحر بعد ارتكابه الجريمة؟

- علينا التأكد من أن هناك جريمة أولا يا سيدة أوجير، وأعتقد أنه لم يفقد أحد من الجيران

- فكرت للحظات ثم هزت راسها وقالت:

- لكني متأكدة من أن السيدة التي زارته هي زوجته

- لماذا؟

- حسنا.. لقد كانت لها طريقة متسلطة وغير لطيفة، وقد اختبأ منها تحت السرير.. إن الرجل لا يهرب من أي شخص إلا زوجته

وهنا استنتجت أية قناعات تملكها السيدة اوجير عن تجربة الزواج.

- إذا كانت زوجته ماذا في الأمر؟

- قد تكون هذه بقاياها

ساعدني السائق الجاهل بمحتويات حمولته مقابل شلن إضافي في حمل الرزمة إلى مكتبي أعلى الدرج، وهناك ارتسمت على وجه رئيسي علامة استفهام، وبعد أن انصرف الرجل أخبرته بالقصة وفتحت الرزمة.. لم أره على مثل هذا التأثر من قبل. قام بوضع العظام على الطاولة وكأنها جواهر، لاحظت أن بعضها يحمل بقايا لحم شيء مقزز تماما ثم حملنا الهيكل العظمي إلى المختبر وخصصنا له طاولة وبينما هو ينظم العظام بشكلها الطبيعي أخذت أدون ما اخبرتني به السيدة أوجير.

إذا كان هناك عيب في رئيسي، فهو أنه حاول القيام بنفسه بما يجب أن يطلب من خبير، كان في نيتي أن أستدعي جراحا أو مشرحا، وأدعه يبدي رأيه بالعظام، لكن ما أن أدليت باقتراحي حتى قفز رئيسي في الهواء قائلا: "ماذا يعرف جراحك عن إعادة البناء البلاستيكي؟

ولعدم معرفتي بما هو البناء البلاستيكي أجبت "لا أعرف" قال: "حسنا، سأريك".

وعندما أذن لي بدخول المخبر ثانية، شاهدت بدهشه شديدة العظام وقد وضعت بشكل هيكل متكامل على الطاولة. قال رئيسي: "هناك بعض العظام المفقودة لكن الشيء المثير أن الجسم مشوه مما يجعل مهمتنا أسهل، لكنها حالة مميزة؛ فرجل المرأة اليسرى أقصر بثلاث إنشات من اليمنى، واليد اليمني أقصر بإنشين من اليسرى، لا بد أنها كانت بشعة جدا"

ثم أضاف بثقة: "سنعرف حالا كيف كانت تبدو"، وأخذ يعالج شيئا في قدر ماء دافئ، كانت الجمجمة مثبتة إلى الطاولة بملازم خشبية، بينما أخذ يشكل بمهارة فائقة قطعا مخروطية من كتلة من الشمع الموجود في القدر، ثم يسخنها فوق مصباح كحولي حتى تصبح كتلة من الشمع الموجود في القدر، ثم يسخنها فوق مصباح حتى تصبح طرية فيلصقها فوق الجمجمة، وتدريجيا تشكل الوجه، وبعد ساعة من معالجته الخبيرة أصبح وجها بشريا بالتأكيد لكن أي وجه؟ لا يرى إلا في الكوابيس، وإضافة إلى جسدها المشوه، لا بد أنها كانت عرضا حيا!

قال: "ها هي المغدورة كما كانت على قيد الحياة، وأقول بلساني أنها تستحق الموت".. تمالكت نفسي، واقترحت استدعاء السيدة أوجير إلى المكتب لتتعرف على السيدة إلين، لكن رئيسي قال أن الوقت لم يحن بعد لذلك"

"دعنا نجد المجرم أولا ثم نواجهه بضحيته، وسينهار بالتأكيد حين رؤيته ذلك، ونسبة ذلك تسع من عشرة حالات، وسيدلي باعتراف كامل"

"وإذا حدث هذا، حتما سنقوم بتسليمه للشرطة"

"نعم.. لكن لنلق القبض عليه أولا، ساعد تقرير ثم نهتف لسكوتلانديارد الرائعة"، وكانت لهجته تنم عن التهكم وغطى البقايا بملاءة، ثم جلسنا نفكر بالوسيلة المثلى لإيجاد هنري إلين. اقترحت أن نعلن عنه في الصحف الرسمية كما يلي: "هنري إلين تعال، وكل شيء سيكون على ما يرام"

- عندها سوف يذكر في محاكمته أنه قد وعد بعفو كامل.

- وإذا لم نكتب كما يلي: "إذا اجتمع هنري إلين ١٧ – قاعة هانوفر بالسيدان بيبر وجوفز أوولفي – لندن، فسوف يسمع شيئا يهمه"؛ فأظهر سخطه، وخشيت أن تكون جرأتي على وضع اسمينا معا سبب سخطه.

- هل تعتقد حقا أن رجلا يعيش في خوف دائم من انكشاف أمره سيمتثل لتلبية إعلان؟

- حسنا.. إنك تراهم في الإعلانات كل يوم عندما يريد المحامون القبض على شخص ما. لا بد أن يلبي أحدهم النداء وإلا لما نشرت

- كلا.. يا سيد جونز. إذا كنا سنستخدم الصحف، فسيكون ذلك بطريقة مختلفة تماما. لدي هنا (وأشار إلى بطاقة بشكل فهرست) عناوين الصحف العالمية اليومية والأسبوعية، سوف نعد مقطعا إخباريا فحواه أن رجلا إنكليزيا، واسمه هنري إلين قد ورث مؤخرا عن سيدة غريبة الأطوار مبلغ مليون ونصف جنيها" وذيل الإعلان بـ "السيد بيبر" (لم يكن هناك ذكر لجونز) كتب السيد بيبر المقطع للوارث السعيد دون ذكر عنوان، فما كان إلا أن عادت الرسائل بالبريد ثانية، فكتب ثانية وأضاف: "إذا لم يظهر السيد إلين شرعيته خلال ستة أشهر فسوف تؤول النقود إلى جمعية القطط المتشردة في لندن، وقد قمنا بترجمة هذا إلى كل لغات العالم عبر وكالة النشر"

- ألا تخشى الاتهام بالإعلان الكاذب؟

- كل شيء معد، سنواجههم بالجثة أولا، وبالسيدة أوجير ثانيا، وسنرى كيف يولون الأدبار.

بدت لي طريقة ملتوية، ولا بد أنه طبقها؛ فقد كتبت امراة إنكليزية من المجر تقول أنه لم يظهر السيد إلين فهناك في المجر قطط تتضور جوعا أكثر من لندن، وأن أصواتها تمنعها من النوم أثناء الليل، وأنها ستكون سعيدة إذا أرسلنا لها جزءا من المبلغ لتخصيص بيت يؤويهم

كتب رجل آخر من بلدة ريفية من المملكة موقعا باسم "هنري إلين" يطلب فيها النفقات الضرورية ليتمكن من القدوم للحصول على إرثه، وآخر كتب من مدينة البحيرة المالحة أنه معروف محليا باسم "ريتشارد دويتر" إلا أنه على قناعة أن أمه أسمته "هنري إلين"، وسوف يأتي ليحصل على إرثه. وكتبت سيدة من بوينس آيرس تدعى "ماري إلين"، ادعت أن الوصية من حقها لأنها عندما كانت فتاة كان زملاؤها في المدرسة يدعونها بـ "هنري"، ولكن "هنري إلين" الحقيقي لم تصل منه كلمة.

فقد رئيسي صبره؛ فقد كان مشغولا بعدة حالات وبقايا المرأة المقتولة تقف في طريقه محتلة نصف المخبر، وقام بوضع باروكة شعر على الجمجمة وصبغ وجنتها فبدت قريبة إلى الأحياء، وقال لي في صباح أحد الأيام:

"سيد جونز، يبدو أننا لن نوفق في الوصول إلى هنري إلين هذا، فلم لا ترسل إلى السيدة أوجير للتعرف على الضحية؟ ثم نتابع على ضوئها".

"لم ترحب السيدة أوجير بالاقتراح، وذكرتني باتفاقنا بألا تتدخل بالموضوع، وقد وجدت صعوبة بالغة في إحضارها إلى المكتب. وما أن كشفت الملاءة عن الهيكل حتى ندت عنها صرخة فزع وسقطت على المقعد وهي تلهث: "أوه، قلبي المريض!"

قال رئيسي: "هل تعرفت عليها يا سيدة أوجير؟.. هل تشبه زوجته؟"

"إنها لا تشبه شيئا على الأرض، سأظل مريضة لأسبوع بعد رؤيتي إياها"، لقد كانت خيبة أمل كبيرة.

أقنعت رئيسي بالتقاط صورة فوتوغرافية للضحية ونشرها في الجرائد في باب المفقودين، قام بالتقاطها، ولكن قبل أن أذهب إلى مكان الصحيفة حدث شيء غيّر مجرى التحقيق كليا فقد عادت السيدة أوجير. لقد عرضت علينا بطاقة بريدية قادمة من جنوا أرسلها السيد إلين نفسه يقول فيها أنه سيكون في لندن خلال أسبوع قالت:

"والآن، ماذا سأقول له عندما يسألني عن الرزمة؟ لا يمكن أن أخبره أن البوليس قد أخذها، من الأفضل إعادة حزم هذه العظام بورق الصحف كما كانت في الرزمة "

طبعا لم يوافق رئيسي على هذا العرض، وأشار أنه طبقا للقانون فيجب على السيدة أوجير إلقاء القبض عليه حالما يضع قدمه في

المنزل. صاحت بدهشة:

"أنا ألقي القبض عليه! كيف لامرأة أن تلقي القبض على رجل؟"

فقلت: "إن القانون لا يميز بين رجل وامرأة يا سيدة أوجير، وقد دخلت المرأة إلى هيئة المحلفين وإلى الشرطة، وكل ما عليك فعله أن تضعي يدك على كتفه قائلة "هنري إلين، إني أقبض عليك بتهمة قتل امرأة مجهولة، وعلي أن أنبهك أن كل كلمة أو تصرف تقوم به سيدون ضدك في المحاكمة" ثم اكتبي ما يقول، واحبسيه في غرفته، ثم اتصلي بـ السيد بيبر "١٢٠٢ سنترال"

"لن أفعل هذا يا سيد جونز، ولو ارتكب ثلاث جرائم عليك أنت القيام به"

نظرت إلى السيد بيبر، ونظر إلي، رأيت أن هذه هي اللحظة المناسبة لتدخل البوليس الذي يدفع له أجرة على ذلك، ولكني لم أجرؤ على القول، قمنا بتهدئة السيدة أوجير بأننا سندرس الوضع فما زال أمامنا أربعة أيام. كان السيد بيبر قلقا والحل الوحيد الذي اقترحته علي أن أنتظر أمام بيت السيدة أوجير كل يوم حتى قدوم السيد إلين، فأستدرجه إلى المكتب، وهناك نواجهه بالضحية ثم نتصرف تبعا لتطور الأمور، فإذا أظهر علامات الذنب نتصل بالشرطة. وهذه هي المرة الأولى التي يتواضع ويذكر فيها الشرطة. لكني لم أرحب كثيرا بالدور المسند إلي، لكن تتابع الأحداث الغريب أنقذني، وأدين بهذه النجاة لصديقي في النادي الذي ورطني بهذه القضية منذ البدء.

كان صديقي يتناول غذاءه على طاولة لاثنين وما أن مررت به حتى استوقفني وقدمني إلى ضيفه، وهو رجل متوسط العمر، وقد خط الشيب لحيته ثم طلب إلي الانضمام إليهما. ومن خلال المحادثة عرفت أن الضيف رئيس مدرسة طبية معروفة في لندن، وكان لدى ظهوري على وشك التحدث عن ظاهرة مؤسفة في المدرسة، طلب صديقي إليه أن يعيد القصة من البدء قائلا:

"إن صديقي جونز هو خير من يقدم النصح في هذا المجال، فهو من ألمع رجال التحري في لندن، وعلى أن التعبير كان سيئا إلا أن نيته كانت حسنة".

قال الطبيب: "لكني لا أريد أن يتدخل البوليس، حتى نعرف المزيد على الأقل"

قال صديقي: "ليباركك الله، إن السيد جونز لا علاقة له بالشرطة فهو مخبر خاص، مخبر فذ"

وبعد أن اطمان الطبيب أخذ يسرد قصته.. اختفى الصبي المساعد للموظف المسؤول عن المشرحة في المدرسة منذ يومين، وكانت شخصيته نموذجية لا يملك المال ولا أعداء له، لقد وضع (المواد) مساء الاثنين.

وفي الثامنة من صباح اليوم التالي كان عليه العودة للعمل كالعادة كان يوما مليئا وعندما وصل الطلاب في العاشرة كان قد فات الأوان. اشتكوا إلى الطبيب لأن (موادهم) لم تحضر بعد، لن يستطيعوا تقديم

الامتحان القريب كما يجب، أرسلنا إلى موظف المشرحة الذي علم لتوه عن غياب جون. أرسلنا إلى بيته للاستفسار، لكن لا بيت له، ومر اليوم دون أية أنباء عنه، ولم يعد بوسعنا إلا أن نعلم الشرطة عن اختفائه، لكننا وجدنا أنه سيضر بالطلاب سيشوش تفكيرهم، وإذا كان الصبي المسكين – والتقط الدكتور هنا أنفاسه بصعوبة – ضحية مكيدة من المبنى نفسه، فأي وضع لا يطاق سيكون عندها

"ما الذي يجعلك تشك بهذا؟"

"حسنا.. لا أعرف بالضبط، ربما لأني سمعت أثناء مروري قبل بضعة أيام بالمشرحة، سمعت الموظف يتحدث بقسوة وفظاظة إلى الصبي الذي أجاب بالطريقة نفسها كان شجارا حول الواجب والمسؤولية، وكيف يجب الالتزام بالمبدأ، ثم ابتعدت لكني أعترف أنه ترك انطباعا سيئا في مخيلتي، فقد بدا موظف المشرحة لي دائما، خادما ممتازا وهو معنا منذ سنوات، لكنه عصبي المزاج، ربما كانت واجباته الثقيلة تجعله بهذه الفظاظة".

"لكن هناك فرق كبير بين الكلمات البذيئة وارتكاب الجريمة".

"أعرف، أعرف، لقد بدا لي فقط – لا بد أني متوهم – لأن رجلا بمكانه يبقى مع صبي وحده ولساعة متأخرة مع وجود وسائل شتى للتخلص من الجثة، فهناك الفرن وما شابه، ولكن هذا كله محض افتراض".

خيّم الصمت علينا لبعض الوقت بينما بقي طعامنا لم يمس ثم قال

صديقي: "لماذا لا تطلب من جونز أن يذهب معك؟ يمكنه التجول في المكان والتعامل مع العامل بشكل لا تستطيعه أن تقدمه على أساس أنه يبحث عن الولد المفقود".

استدار الدكتور إلي وقال: "هل تفعل؟ فهذا الأمر يشغل بالي"

لم نضيع وقتا أكثر؛ فقد كانت سيارة الدكتور تنتظر في الأسفل، ثم اتجه بي إلى المدرسة قلت: "إذا لم يكن عندك مانع، أود أن تقدمني إلى موظف المشرحة وتدعه يريني المبنى بنفسه، مما يتيح لي طرح الأسئلة معينة عليه بشكل غير رسمي"، وهذا ما كان الدكتور يريده لذا أخذني مباشرة إلى المخبر حيث قال لرجل متوسط العمر: "ستكوك هذا هو السيد جونز الذي سيبحث عن الشاب جون، وعليك أن تريه المبني" ثم صافحني وذهب.

بدا ستكوك سعيدا لرؤيتي وقال: "من الأفضل ألا نشوش الطلاب في غرفة العمليات فهم على وشك الانصراف في الخامسة، ويمكننا حتى ذلك الوقت أن نرى الدور السفلي للمبنى. يا له من أمر مؤسف، ذلك الذي حدث لجون، لقد لاحظت أن الأمر ليست على ما يرام معه في الآونة الأخيرة حتى أنه فقد الاهتمام بعمله".

"هل كان هناك شيء محدد بذهنه؟"

"هذا ما أعتقده لأن الأشياء كانت تسقط من يديه أعتقد أنه كان على صلة بفتاة لا تريده، وقد سالني يوما: "كيف لزوجين شابين تدبر

أمورهما بأدنى حد ممكن في لندن يا سيد ستكوك؟"

وعندما قلت: "جنيهان في الأسبوع" انهار تماما، وكأني لطمته وقد تغير تماما منذ أن رفت من الجيش إلى هنا يرسلونها يا سيدي"

"يرسلون ماذا" قال باستغراب: "المواد وهذا المرجل" كان الفرن يتوهج خلف باب محمر من الحرارة. "من المسؤول عن إيقاد المرجل؟"

"الشاب جون، لكنه أهمله في الفترة الاخيرة فوقع الأمر على عاتقي، وكذلك الأمر مع الحزم".. "الحزم؟".. "نعم حزم المواد إلى الأكفان هنا غرفة الحزم" وجدت نفسي في غرفة ضيقة كالزنزانة تترامى على جانب أكوام من الأكفان، وعلى الجانب الآخر صوان من العظام والجماجم تتدلى منها قطع اللحم. قال متابعا: "إنهم يرسلون هذه المواد من غرفة العمليات، وعلى الشاب جون أن يشكل جسما متكاملا ويضعه في كفن، وكما ترى فيجب أن يكون دقيقا قدر الإمكان فيجب أن يكون هناك جمجمة واحدة وذراعان وقدمان في كل كفن قبل أن يثبت بالمسامير ويؤخذ إلى المقبرة، لكنه غدا مهملا مؤخرا"

"هل تعني أنه كان يخلط الأجسام؟"

"أود أنه لو لم يكن لي يد في هذا يا سيدي.. فلا تستطيع أن تفصل هذه الأكوام، لكننا نحتفظ برموز الأسماء على كل كفن من أجل الجنازة، وطبعا قد لا تكون أسماء الموتى للجثث نفسها، فقد تجد في الكفن الواحد أجزاءً لعشر موتى".

وبينما كنا نتجاذب أطراف الحديث جلست على صندوق خشبي وسألت:

"ماذا بالمواد عندما يرسلونها إليك؟"

"إذا تفضلت بالوقوف بعيدا سوف أريك لأنك تجلس عليها، سيدي"

لا بد أني أجفلت بحركتي السريعة لأنه قال مبتسما: "إنها لا تعض سيدي" ثم فتح غطاء الصندوق فتلصصت من وراء كتفيه لأرى بقايا عشر أجسام بشرية قديمة وحديثة حالة البشرية من المتشردين والوحيدين الذين يقضون حياتهم في شوراع وورش لندن، وربما لا يتأسف عليهم أحد سوى البؤس الذي عرفوه، لقد قدموا للبشرية بموتهم أكثر مما قدموه في حياتهم، حيث قدموا مادة البحث للعقول الشابة. ثم أغلق الصندوق ونظر إلى ساعته:

"سنصرف الطلاب الآن يا سيدي سآخذك إلى غرفة العمليات"

وقادني عبر الدرج إلى غرفة واسعة بنوافذ كبيرة عالية، بينما اصطفت عشرات المناضد، وقد غطي كل منها بملاءة تخفي ما تحتها من مواد كانت بيد الطلاب، وفي نهاية الغرفة كان هناك عدد من الأبواب الحديدية كتب عليها (رأس)، (ذراع)، (رجل)، (صدر) وهكذا؛ فسألت ستكوك إذا كان بالإمكان إخفاء جسم جون في أحد هذه الأبواب، ففتح أحدها بينما أطلت القطع البشرية متراكمة فوق بعضها بأوضاع مختلفة.

"إن هذا ما يجعل عملنا في الدور السفلي صعبا فهنا عشرون ذراعا

عليك إيجاد الأجزاء المناسبة لها من الأبواب الأخرى. لكن في الوقت نفسه تسهل هذه العملية على الطالب لمعرفة ما يريد".

نظرت إلى الأذرع البشرية، فشعرت أني قد رأيتها من قبل، لكن أين؟.. ثم ومضت في ذهني ذكرى السيدة المقتولة.. استدرت إلى ستكوك وسألته: "هل سبق لك أن فقدت بعض الأجساد؟"

"أوه.. بين الفينة والأخرى قد يأخذ طالب يدا أو قدما لدراستها في البيت ولا يعيدها، وعندها يقع في مشكلات كثيرة لأني أجعله يوقع على صك استلام لكل قطعة، ولا يمكنه أخذ قطعة أخرى حتى يعيد ما في حوزته، ولكنني لا أجزم باستطاعتي دائما استرداد كل شيء، ثم هناك إلين على سبيل المثال فسوف يكون عقابه عسيرا عندما يعود إذا عاد أصلا"..

قلت محاولا التغلب على انفعالي: "أخبرني عن إلين هذا".

"أوه.. عليك أن تسأل المسؤول عنه، فسيحكي الكثير عنه. لقد سرق جسدا بأكمله العام الماضي، لقد سرق أكثر من جسد، الماكر! سأخبرك كيف فعل هذا، ففي الاثنين طلب رأسا، وفي الخامسة عند الانصراف رأيته ياخذ الرأس إلى الصندوق، واعتقدت أنه سيعيده طبعا، ثم طلب ذراعا وقام بالعملية نفسها، وهكذا وجدت وخلال أسابيع أنه أخذ جسدا كاملا، ولكن بعد فوات الأوان لا ادري لماذا يدعه المسؤول يعود في كل مرة، لكن إذا عاد هذه المرة فسأعرف كيف أقابله"

ثم أخذ يقلب بعض الأوراق كتب أعلاها هنري إلين، وقال ٢٠

حزيران الرأس رقم ١٢٨ – أنثى، ٢ تموز صدر ٤٣ – أنثى . وهكذا"

"هل تستطيع التعرف على القطع إذا رأيتها ثانية؟"

"أتعرف عليها؟.. نعم وأقسم على ذلك، فعندما أخذ إلين المواد وضعت علامة عليها حتى لا يكون هناك خطأ أنها سرقت، ولن أستطيع التأكد من رقم الجنازة"

سألته إذا ما كان المسؤول موجودا الآن في المبنى لأني أريد مقابلته. نظر إلى ساعته، وقال: "يمكنك اللحاق به إذا أسرعت يا سيدي؛ فهو يغادر في تمام السادسة، إنه في الباب الثاني على اليسار في الممر"

وصلت في الوقت الذي كان يضع الدكتور فيه قبعته، قال:

"حسنا.. هل هناك بصيص من أمل؟"

"أعتقد أني توصلت إلى شيء أكيد، وهو أن الشاب جون لم يقتل في هذا المبنى"

"هل تعتقد ذلك؟"

"أعتقد أن عليك الاتصال بسكوتلانديارد على أنه مفقود، وتعطي عنوان بيته فقد تكون حالة انتحار"

(وقد كنت على حق فقد انتشلت جثة جون من التايمز في اليوم التالي، وفي جيبه رسالة توضح الأمر).

"لكني الآن بصدد السؤال عن موضوع آخر تماما. هل لديك طالب اسمه هنري إلين؟"

وضع قبعته ورفع يده: "هنري إلين! هل عاد ثانية؟.. لم أقابل رجلا مثله في حياتي قط، إن المرء ليعتقد أنه مجنون، لقد كان طالبا هنا لمدة ست سنوات، وقد اجتاز كل امتحاناته التمهيدية بتفوق، وكنت أعتقد أن الامتحان الأخير سيكون كذلك، إذ به وعند مساء الامتحان يقدم ملاحظة تقول أنه مضطر للسفر خارجا لمدة ستة أشهر، ولا أدري إن كان هذا نوعا من الهروب من الامتحان، أو حبا بالتجول، وربما كلاهما.. لقد كان أكبر من بقية الطلاب، وشخصا ممتعا تماما لم يكن له أصدقاء هنا، لكنه كان يدفع أقساطه.. عليك سؤال ستكوك عنه فسيخبرك الكثير فهو يتهمه بسرقة بعض المواد"

"أعتقد أنه علي حق في هذا لكني سأعيدها ثانية اذا كنت تعتقد بقيمتها الثمينة"

"هل هناك شيء في لندن لا تعرفه؟ طبعا ذات القيمة"

هل يمكن لستكوك أن يرافقني ليتعرف عليها؟

"طبعا بإمكانه.. رتب الأمر معه، والآن علي الانصراف، ولا أعرف كيف أشكرك"

وجدت ستكوك في المختبر يتناول الشاي وقدم لي فنجانا:

"إن الشاي ينعش المرء في المساء"، ودفع بعين بشرية عن المكتب ليفسح مكانا للفنجان بينما كان يأكل ويشرب.. كان هذا المخبر مكانا فظيعا فالقوارير تتدلى من السقف إلى الأرض ومحتوية على أجزاء بشرية بشكل ما، وعلى شكلها المقزز فإنها لم تفسد شهية ستكوك.

"قلت لي أنك تستطيع التعرف على القطع التي إخذها إلين".

"جربني سيدي"

"هذا ما أريدك فعله إذا جئت معي".

"سأذهب حيث تشاء".

كانت الساعة السابعة عندما دخلنا المكتب كان رئيسي لا يزال موجودا طلبت إلى ستكوك الانتظار في الردهة حتى أستدعيه.

قال رئيسي قبل أن أتكلم: "لقد كنت أفكر بقضية هنري إلين يا جونز. لقد انتظرتك طوال فترة الظهيرة وإني مقتنع الآن أن إلين هو نفسه جاك الممزق وهذه المراة هي إحدى ضحاياه".. دهشت لهذا كثيرا حتى أنني نسيت ما أنا بصدده ثم تابع: "كل شيء يشير إلى ذلك: مفاداته الشخصية وأسراره، اختفاؤه المفاجئ، عندما تتمكن من إلقاء القبض عليه لا تستغرب حيازته لسكين"

"لا تكمل يا سيد بيبر حتى تسمع ما سأخبرك به، لدي رجل يقول أنه يستطيع التعرف على العظام فهي أجزاء من المدرسة الطبية سرقها إلين منه"

لم أر وجها يتلون بالخزي بهذا الشكل خاصة وأني اختطفت منه قضية مهمة شيقة في مدة خبرته القصيرة. قال بفتور "دعه يدخل". ثم أضاء المخبر، وقدت ستكوك إليه. قام رئيسي بكشف الغطاء عن العظام بينما ركزت عيني على ستكوك، لم يعبر وجهه عن شيء في البدء، ثم أخذت عيناه بالتصلب وسرى فيه تعبير غريب لا يوصف، وعندما التقط أنفاسه أخيرا، التقط إحدى العظام وقال: "إنك على حق سيدي فهذه العظام كلها لنا.. ها هي علامتي الخاصة فوق العظام" وأراني رقم ١٢٨ منقوشة على عظمة، ثم نظر بقسوة إلى الوجه؛ فسرت بجسدة رعدة قوية، واعترف أن شعوره مضحك تجاة العظام، ولم أتجرا على النظر إلى وجه رئيسي. قلت بلطف:

"أعتقد أنه من الأفضل أن يأخذ السيد ستكوك العظام معه فهي تخص المدرسة الطبية حيث كان إلين طالبا، فهذه سرقة".

لم يبد رئيسي أي تعبير، بدأ يفك العظام

قال السيد ستكوك: "عندما يعود إلين إلى البيت، ويسأل عن رزمته يجب أن تأخذه إلى المسؤول إذا لم يكن لديك مانع"، ثم نظر إلى الجسد ثانية وقال: "لن أفسد هذا العمل الشمعي أبدا.. سنضعه في متحفنا لا بد أن صديقك احتار لاختلاف أحجام الأرجل والأذرع".

"لقد تحير وظن أن المرأة كانت مشوهة"

"يبدو أنه لم يلاحظ أن لها رجلا وثلاثة أيد، لأنني ألاحظ أنه قد وضع يدا مكان الرجل المفقودة".

فتح الباب في الوقت نفسه وأطل السيد أوجير ليقول: "أوه.. السيد إلين، أين كنت بحق السماء؟"

قال بصوت ضعيف: "كنت في لشبونة"

أما أنا فقد ألقيت بيدي على كتفه وقلت:

"سيد إلين إنك مطلوب من المدرسة الطبية لتقدم إيضاحا عن سبب حيازتك لبعض القطع التشريحية الخاصة بها. وأود أن أحذرك أن كل ما تقوله أو تفعله مدون وستواجه به في المحاكمة"

شحب لونه بشدة، بينما صفعت السيدة أوجير الباب بشدة، لكن المسؤول في المدرسة الطبية رفض تقديمه للمحاكمة.

الموت الغامض في شارع بيرسي

بارونس أوركزي

(نشرت لأول مرة في ١٩٠٨ م)

دخلت الآنسة بولي بورتن في جدال طويل مع السيد ريتشارد فروبشير بسبب ذلك الرجل القابع في الزاوية، والذي يبدو مثيرا وغامضا أكثر بكثير من الجرائم التي يفلسفها.

لقد علق ريتشارد بأنها تقضي وقتا في مقهي أ. ب. س وبصحبة ذلك الرجل أكثر مما تفعل معه، وقد قال ذلك بعبوس يخفي خجلا رائعا تماما كما يفعل كل الرجال عندما يشعرون بالغيرة ولا يعترفون بها.

سرت بولي بغيرة (ريتشارد) لكن ذلك الرجل الذي يشبه الفزاعة في مقهي الـ أ. ب. س كان يجذبها بقوة كبيرة وعلى أنها كانت تعطي السيد ريتشارد وعودا كثيرة إلا أنها كانت تنكث باستمرار وتعود بشكل لا إرادي إلى ذلك المقهى في شارع نورفوك حيث تظل تحتسي القهوة ما دام الرجل في الزاوية يتحدث.

وفي هذا المساء بالذات، ذهبت إلى مقهى الـ أ. ب. س لهدف معين وهو معرفة رأيه في موت السيد (أوين) الغامض في شارع بيرسي.

لقد أثارتها الأحداث وحيرتها، وتجادلت طويلا مع السيد ريتشارد فروبشير حول الحلول الثلاثة للغز "حادث – انتحار – جريمة؟"

قال الرجل بجفاء: "قطعا ليس انتحارا ولا قضاءً وقدرا"

لم تجرؤ على التحدث معه إلا أن هذا الرجل يتميز بأسلوب ماكر في قراءة أفكارها.

"إنك تميل لفكرة أن السيدة أوين قد قتلت ولكن هل تعرف الفاعل؟"

ضحك الرجل ودفع إلى الأمام الخيط الذي يتشاغل به عند محاولته فك بعض الأسرار

قال أخيرا: "إنك تريدين معرفة القاتل إذا؟"

أجابت بولي: "أحب أن أعرف رأيك بالموضوع"

قال بجفاء: "ليس لدي رأي.. لن يستطيع أحد معرفة القاتل من رآه حين اقترف جريمته لا يقدر أحد على إعطاء وصف، ولو كان تقريبيا، لذلك الرجل الغامض الذي اقترف ذلك العمل الذكي وحده، أما البوليس فهم يلعبون لعبة "الاستغماية"

ألحت: "لا بد أنك كونت نظرية لنفسك"

لقد أزعجها إصرار ذلك المخلوق اللطيف على غموضه لكنه حاول إفراغ ما في جعبته.

"إن ملاحظتك القديمة أن لا وجود لشيء اسمه "سر" لا يمكن تعميمها، فها هنا سر يفرض نفسه – الموت في شارع بيرسي – أنت عاجز عن كشفه مثل رجال الشرطة"

رفع حاجبيه قليلا إلى الأعلى ونظر إليها للحظة أو أكثر.

"أعترف أن هذه الجريمة من أذكى الأعمال التي حدثت خارج الدبلوماسية الرسمية". قال بضحكة عصبية ثم أضاف: "لو انتدبت قاضيا للحكم بالإعدام على الرجل الذي قام بالجريمة فلن تطاوعني نفسي على ذلك، بل سوف أطلب من السيد المجرم وبأدب أن يدخل مكتب الغرباء فإننا بحاجة إلى مثل هؤلاء الرجال – في استديوهات روبينس في شارع بيرسي"

"هل سبق لك أن لاحظتها؟ إنها استديوهات بالاسم فقط بينما هي في الواقع مجموعة من الغرف ضمن بيت على الزاوية ذي نوافذ أوسع من المعتاد في الطابق الأرضي تجدين أعمال الزجاج الملون من مكاتب وورش، وفي الطابق الأول هناك غرفة صغيرة خصصت للناظر مع الغاز والفحم.. كانت تتقاضى خمسة عشر شلنا في الأسبوع مقابل تنظيف وترتيب المنزل.

كانت السيدة أوين – الناظر هناك – هادئة ومحترمة تقتصد من دخلها الضئيل فالراتب الشحيح ينفق عليها وعلى ببغائها، أما البقشيش الهزيل الذي تأخذه من الفنانين المفلسين مقابل خدمات منزلية فتقوم بإيداعه في أحد البنوك، وعاما بعد عام كبر المبلغ وأصبح ثروة لا بأس

بها في بنك بريكبيك وقد كان يسخر منها الفنانون الشباب بدعوتها بـ "السيدة المدبرة"

"لا ينام أحد في المبنى عدا السيدة أوين والببغاء فقد كان القانون ينص على أن يسلم كل مستأجر مفاتيحه المحترمة إلى السيدة أوين قبل مغادرتهم الاستديو.

في الصباح الباكر تقوم بتنظيف وترتيب الاستديوهات والمكتب والسلم، ثم تشعل النار وتحمل الفحم إلى أعلى. يصل المشرف على أعمال الزجاج في الصباح أولا مستخدما مفتاحا إضافيا بعد أن كانت العادة أن يترك الباب الأمامي مفتوحا تسهيلا على المستأجرين.

عندما يأتي في التاسعة صباحا يجد عادة السيدة أوين مشغولة بأعمالها فيتبادلان حديثا مختصرا عن الجو، ولكنه دهش هذا الصباح أن السيدة أوين قد أنهت عملها قبل موعدها المعتاد ولم تفكر بالأمر كثيرا، ثم وصل المستأجرون الواحد تلو الآخر، وانقضى النهار دون أن يتنبه أحد إلى غياب الناظرة.

لقد كانت ليلة باردة بشدة وكان نهارها أسوأ من تلك الليلة، حيث عصفت ريح شرقية شمالية قاسية وشكل سقوط كميات كبيرة من الثلج طوال الليل طبقة سميكة جدا فوق الأرض، وفي الساعة الخامسة مساء عندما انطفأت آخر شعلة من ضوء النهار الشتوي الباهت وضع الفنانون عدة الرسم من ملون وحامل للوحة مستعدين للإياب.

كان السيد تشاريش بيت أول المغادرين فأغلق الاستديو الخاص به كالعادة ، وذهب بالمفتاح إلى الناظرة.

ما إن فتح الباب حتى لسعته نفخة هواء ثلجية فقد كانت كلتا النافذتين مشرعتين على مصاريعهما، بينما تتساقط الثلوج والصقيع إلى الغرفة بشدة مشكلا سجادة بيضاء على الأرض.

كانت الغرفة في شبه غموض ولم ير السيد بيت شيئا في البدء لكنه أحس أن في الأمر شيئا مريبا، فأشعل عود ثقاب وشاهد أمامه تلك الماساة الغامضة التي حيرت الشرطة والرأي العام معا منذ ذلك الحين فعلى الأرض استلقت السيدة أوين بقميص النوم مغطاة تقريبا بالثلج بقدميها العاريتين حتى الرسغ، وقد صبغت مع اليدين بلون أرجواني مائل إلى الأزرق، بينما سقط الببغاء ميتا من البرد في إحدى الزوايا.

دار الحديث عن الحادث الرهيب في البدء، ونتيجة الغموض الذي يلف الواقعة جاءت المساعدة الطبية متأخرة، وكانت المرأة التعيسة ميتة حتما متجمدة حتى الموت داخل غرفتها، وأظهرت الفحوص التالية أن المرأة قد تلقت ضربة عنيفة على مؤخرة الرأس مما سبب وقوعها خائرة القوى إلى جانب النافذة المفتوحة، ثم تولت درجة الحرارة المنخفضة حتى خمسة تحت الصفر... الباقي اكتشف مفتش المباحث هويل ماسورة من الحديد المطاوع بجانب النافذة تماما وكان ارتفاعها يطابق مستوى الكدمة التي تلقتها السيدة أوين على مؤخرة رأسها.

على أية حال مضى يومان قبل أن يتحرك الفضول العام ببضعة عناوين تصدرت الصحف: "الموت الغامض في شارع بيرسي.. أهو انتحار أم جريمة؟.. تفاصيل دقيقة – تطورات غريبة – واعتقال حساس"

لكن ما حدث في الواقع هو الآتي: ظهرت أثناء التحقيق بعض الحقائق الملابسة لحياة السيدة أوين إلى الضوء، وقادت إلى اتهام شاب من عائلة محترمة بالتورط في مأساة الناظرة التعيسة؛ فقد حدث أن حياة المرأة العادية الرتيبة والمملة قد طرأ عليها تغير كبير في الآونة الأخيرة، فأصبحت أكثر متعة وإثارة، ويؤكد كل شاهد عرفها فيما مضى أن تغيرا كبير وجذريا قد طرأ على المرأة المحترمة الشريفة منذ تشرين الأول الماضي.

حصلت بالمصادفة على صورة لها قبل أن تتغير ذلك التغيير الكلي، والذي أودى بحياتها. أضاف المخلوق اللطيف مادا يده بصورة شخصية أمام عيني الآنسة بولي:

"ها هي، محترمة وغير مثيرة كما هو الحال لكل بنات جنسها، وستعترفين بأن وجهها ليس ذلك الوجه الذي يغري شابا أو يدفعه لارتكاب جريمة"

"على أية حال فقد فوجي كل مستأجري استديوهات روبينس بل صدموا لرؤية السيدة أوين السيدة المحترمة الموقرة خارجة عند الساعة السادسة مساء، وهي تتمايل بقلنسوة باهظة الثمن وعباءة مزخرفة، وفرو

يحيط بكتفيها، وقد فتحت صدرها قليلا ليظهر عقد ذهبي وسلسلة متناسقان تناسقا مدهشا"

"كانت التعليقات كثيرة وكذلك الهمزات واللمزات التي تشدق بها نزلاء الاستديو التافهون"

وتطورت القصة منذ ذلك الحين حيث انقلبت حياة الناظرة المحترمة رأسا على عقب وأخذت تخرج يوما بعد يوم أمام نظرات الاستغراب للمستأجرين ونظرات الإدانة من الجيران مرتدية أفخر الملابس وقد أهملت عملها لعدم تواجدها عند الطلب.

لاحظ كل شخص أنه كان يتأخر أكثر من الجميع كل مساء، ولم يشك أحد أنه كان يتخلف للعمل. ثم تحققت الشكوك عندما شوهدت السيدة أوين مع ارثر جرينهيل أحد عمال الزجاج وهما يتناولان العشاء في مطعم جامبيا في شارع كورت.. لاحظ العامل الذي كان يتناول كوبا من الشاي في الملهي أن العشاء كان مترفا وأن النادل أخذ النقود من السيدة أوين، وأخيرا غادرت المطعم، واشعل الشاب الخجل دخينة.

وصلت مثل هذه الأخبار المشينة إلى سمع وبصر السيد إلمان – المالك للاستديوهات – وبعد شهر من بداية السنة الجديدة ودون أي تحذير مسبق أعطاها مهلة أسبوع لمغادرة منزله".

صرح السيد إلمن في إفادته في التحقيق:

"لم تبد السيدة أوين منزعجة أبدا عندما أعطيتها الإشعار بالإخلاء، بل أخبرتني أن لديها سبلا جيدة للعيش وأنها لم تعمل مؤخرا إلا حبا في العمل، وأضافت أن لديها أصدقاء كثرا مستعدين للاهتمام بها"

وعلى هذه المقابلة المشجعة فقد أدلت الآنسة بيدفورد – مستأجرة ستديو رقم ٦ أنها عندما سلمت مفتاحها في ذلك المساء وجدت السيدة أوين تبكي، ولكنها رفضت أية مواساة.. بعد أربع وعشرين ساعة من حينها وجدت ميتة.

أبقى المحلفون القضية معلقة بينما قام مفتش المباحث جونس ببعض التحريات حول السيد جرينهل الذي ثبت تورطه مع المغدورة. وصلت تحريات المفتش إلى بنك بيرك حيث اكتشف أن السيدة أوين – وبعد مقابلة السيد أولمن – قد سحبت رصيدها البالغ ٨٠٠ دولارا حصيلة خمسة وعشرين عاما من الادخار.

وكانت النتيجة المبدئية لتحريات المفتش جونس اعتقال آرثر جرينهل بتهمة تورطه في مقتل السيدة أوين. ثم أضاف الرجل في الزاوية: "ولسوء حظي لم أحضر جلسة استجواب القاضي للسيد جرينهل"، وهز كتفيه باستخفاف: "لكنك ترين كما أرى الموقف الحرج للسجين والذي يزداد صعوبة مع كل شاهد يقدم للمحكمة"

إنه شاب حسن الهيئة ممتلئ البنية، وفي لسانه لكنة أبناء كركوني التي تلفظ الحروف دفعة واحدة، ولكنه يبدو بشكل مثير للشفقة متلعثما بكل كلمة يقولها وإجاباته غير مترابطة"

"تولى أبوه مهمة الدفاع عنه".

لـم تضـف الإفـادة الطبيـة شـيئا جديـدا: "ماتـت السـيدة أويـن مـن التجمـد، أمـا الخبطـة فـي مـؤخرة رأسـها فليسـت كافيـة لإحـداث الوفـاة، عنـدما سـئل طبيـب التحقيـق عـن زمـن الوفـاة لـم يسـتطع أن يجـزم بشـيء أبدا".

أعيـد فحـص حالـة الغرفـة التـي وجـدت فيهـا المـرأة المنحوسـة مـرة أخرى فملابسها التي ارتدتها طوال اليوم كانت ملقاة بترتيب على كرسي ومفتاح الخزانة في جيب الثوب، وقد ترك الباب مواربا قليلا، ولكن كلتا النافـذتين فتحـت علـى مصـراعيها، وقـد ثبتـت إحـداهما – ذات اللـوح المكسور – بقطعة حبل إلى الإطار بطريقة علمية.

وكان من الواضح أن السيدة أوين تغير ملابسها للذهاب إلى النوم، وقد علق القاضي على هذه النقطة أنه من غير المعقول أن يبدل المرء ملابسه في جو درجة حرارته خمسة تحت صفر والنوافذ مفتوحة استدعى بعد هذا موظف البنك المسؤول عن صرف النقود وسئل عن زيارة الناظرة للبنك. قال: "كان ذلك في الساعة الواحدة عندما جاءت السيدة أوين وقـدمت شـيكا باسـمها قـدره ٨٢٧ دولارا وهـو كـل رصـيدها كانـت تبـدو سـعيدة ومتفائلـة وتحـدثت عـن حاجتهـا للأمـوال السـائلة فـي رحلتهـا إلـى الخـارج للانضـمام إلـى ابـن أخ حيـث سـتدبر لـه بيتـه فـي المسـتقبل وقـد حـذرتها أن تحـرص عـن هـذا المبلـغ الجسـيم، وألا تبتعـد عنـه كمـا تفعـل

بنات طبقتها فأوضحت ضاحكة أنها لن تحرص عليه الآن فحسب، بل حتى في المستقبل حيث ستذهب اليوم إلى محام لتكتب وصيتها"

"وقد تناقضت إفادة الصيرفي بوضوح مع مجريات الأمور حيث لم تعثر التحريات في الغرفة أية نقود، وبالمقابل وجدت قطعتان نقدية أمام سلم البنك للسيدة أوين قد صرفتا بيد الشاب جرينهل.. صباح يوم الجريمة دفعت الأولى ثمن بذلة لشركة الألبسة الجاهزة، والأخرى في محطة شارع أوكسفورد"

"بعد كل هذا كانت الإدانه تحيط بالشاب جرينهل بمقتل السيدة أوين، كما كانت حالته منهارة تماما بشكل مؤلم، وقد مالت وجنتاه إلى الازرقاق بشدة وجفت شفتاه المتشققتان لأنه لا يفتأ يلعقهما بلسانه، وبعد أن أدلى أحد المواطنين بشهادته أنه رأى المتهم في الساعة الثانية من الشباك، وتحدث إليه في زاوية شارع بيرسي، كان الشاب جرينهل قد تلاشى.

كان قرار الشرطة أن الناظرة قد سرقت وقتلت في الليل وقبل ذهابها إلى الفراش وأن الشاب جرينهل هو الجاني باعتباره الوحيد الذي كان على علاقة بالمغدورة، وقد ثبت تواجده في الحي أثناء وقوع الجريمة"

لم يكن التبرير الذي أعطاه مقنعا، حيث قال أن المغدورة قريبة لأمه الراحلة، وكان مصورا ولديه متسع من وقت الفراغ، فقام بأخذ العجوز إلى أماكن اللهو، وقد أشار لها مرة واحدة أن بوسعها القدوم

للعيش معه تاركة العمل المضني، لكن ولسوء الحظ كانت تحت تأثير كبير لابن أخ لها – اسمه أوين – استغل طيبة المراة بكل طريقة ممكنة وكانت له عدة هجمات على رصيدها في بنك بريك بيك.

وبسؤاله من المحكمة عن ذلك القريب للسيدة أوين، أجاب أنه لا يعرف شيئا عنه سوى أن اسمه أوين، وكان إصراره على ذهابه ذلك المساء إلى السيدة رقيقة القلب لأنه يعرف أنها وحيدة وتعيسة خاصة بعد أن طردها المالك من البيت"

لا أدري إذا استدعى انتباهك كما حدث مع القاضي والمحلفين التناقض بين قوله عن السيد أوين الموجود دائما لتهديد العجوز، وبين ما قالته هي للصيرفي بأنها ستسافر لتلتحق بابن أخيها في الخارج.

لكن الشاب جرينهل لم يرتبك أمام أجوبته غير المترابطة وتناقضه، بل أصر على وجود ابن أخ في لندن يزور عمته التعيسة بين الحين والآخر"

"على كل لا يمكن الأخذ بكلام المغدورة قانونا، وقد أضاف محامي الشاب جرينهل إلى ذلك احتمال وجود ابني أخ للمرحومة، وقد أجبرت هيئة المحكمة على التسليم بوجوبه"

"أما فيما يتعلق بليلة مصرعها فقد أفاد الأب جرينهل أنه أخذها في المساء إلى المسرح وتعشى معها في غرفتها، ثم غادر المكان حوالي الساعة الثانية صباحا، وقد منحته وبكامل إرادتها ١٠ دولارات كهدية

قائلة: "إنني أصلح أن اكون عمة لك يا آرثر، وإذا لم تأخذها سيفعل ذلك بيل بالتاكيد" "لقد كانت متوترة في بداية السهرة ثم ارتاحت أساريرها فيما بعد"

فسأله القاضي: "هل تحدثت إليك عن ابن الأخ هذا؟ أم عن شؤونها المالية؟".. تردد الشاب ثانية ثم قال: "لا! لم تذكر أيا منهما"

وبعد هنيهة أضاف الرجل القابع في الزاوية: "إذا أسعفتني الذاكرة – حيث لم أكن موجودا عندها – فقد تعقدت القضية هنا". لكن القاضي لم يبد رأيا، وسحب جرينهل وهو أقرب إلى الميت منه إلى الحي، وعلى أن محاميه كان واثقا ولم يرتبك لحظة وقد اعتمد في دفاعه على إفادة طبيب التحقيق وشاهدين آخرين حول ساعة مقتل السيدة أوين"

لقد أثار نقطة مهمة في أن أعمال المنزل المعتادة كانت منجزة في الصباح في البيت كله عندما وصل مشرف العمل ودحض كون المجني عليها قد قامت بالتنظيف في بداية الليل حيث تتأهب للذهاب إلى المسرح بثيابها الأنيقة.

والآن يبدو أن السيد جرينهل – المحامي – مستعد لإحضار شهود لمصلحة ولده لإثبات أن السيدة أوين قد شوهدت بعد الساعة الثانية صباحا على قيد الحياة.

"على كل قد كان رجلا قديرا وقد تعاطف القاضي معه، ورُفعت القضية مهلة أسبوع وكان هذا كل ما يريده المحامي السيد جرينهل"

عادت عندها العناوين المثيرة والملفقة إلى الظهور تطرح الاحتمالات المحيرة هل كان الموت في شارع بيرسي: "قضاءً وقدرا؟"، "انتحارا؟"، "جريمة؟"

"ومضي الأسبوع ثم استؤنفت القضية ثانية، وغصت المحكمة بالمشاهدين، ولم يكن من الصعب ملاحظة أن السجين بدا أكثر تفاؤلا.. أعادت النيابة اتهاماتها وإثباتاتها، ثم جاء الدفاع فاستدعى السيد جرينهل شاهده الأول السيدة هول صاحبة المحل المقابل للاستديوهات في شارع بيرسي، وقد أقرت أنها شاهدت السيدة أوين الساعة الثامنة صباح الثاني من شباط عندما كانت تنظف نافذة محلها، وقد رأت الناظرة كعادتها جاثية على ركبتيها، وقد اتشحت بشال تمسح درجات السلم الأمامية، وقد إشارت إلى زوجها والذي كان بصحبتها وعبرت عن عظيم غبطتها لكون محلها دون درجات فتضطر لمسحها وتنظيفها في مثل هذا الصباح الباكر"

"كرر الشاهد الثاني – السيد هول وله العنوان نفسه – الإفادة نفسها، ثم قدم السيد جرينهل بانتصار سحق شاهده الثالث الآنسة مارتن من شارع بيرسي والتي شاهدت من نافذتها في الطابق الثاني الساعة السابعة صباحا الناظرة وهي تزيل الثلج عن الأبواب الأمامية، وقد

تطابقت أقوال هذه الشاهدة أن القتيلة كانت تتشح بشال حول رأسها مع أقوال السيد والسيدة هول"

"أصبحت مهمة السيد جرينهل بعد ذلك بسيطة؛ فولده في الساعة الثامنة صباحا كان يتناول طعام فطوره في البيت والخدم يشهدون بذلك، وقد كان الجو رديئا لدرجة اضطر آرثر ألا يغادر مكانه قرب الموقد، أما السيدة أوين فقد قتلت بعد الساعة الثامنة حيث شوهدت آخر مرة على قيد الحياة؛ لذلك فلا يمكن أن يكون ابنه الجاني، وعلى الشرطة أن تفتش عن القاتل الحقيقي في مكان آخر، أو تتبنى فكرة القضاء والقدر، أو أنها لاقت حتفها بتلك الطريقة البشعة الدارجة"

"وقبل أن يتنحى السيد جرينهل استدعي شاهد أو اثنان مرة أخرى؛ فكرر رئيس عمال الزجاج أقواله لقد جاء الساعة التاسعة صباحا ولم ير أحدا، وكان كل شيء منظفا وجاهزا، ثم انهمك في عمله طوال الوقت، ثم علق مبتسما: إنني لا أجلس لمراقبة الداخل والخارج فلدي عملي الذي يشغلني طوال الوقت. يترك الباب الرئيسي مفتوحا دائما وبوسع أي شخص الدخول من الشارع إلى أي مكان يريده من المبني إذا كان يعرف الطريق.

هنا عادت القضية أكثر غموضا، وظلت الشرطة عاجزة، ولم تعرف إذا كان الشاب جرينهل يحمل مفتاح اللغز بين يديه حتى الآن.

"كان بمقدوري مساعدتهم من أجل اضطراب ذلك المصور الشاب بين يدي القاضي لكن أوكد لك أني لا أهتم بالقيام بدور الشرطي من

أجلهم، ولماذا أفعل؟ فلن يعاني جرينهل من الشبهات المريرة بعد أنه – إضافة إلي– يعرف رهبة الموقف الظالم الذي وجد نفسه فيه"

لم يصل الشاب منزله إلا الساعة الخامسة صباحا، فقد فاته القطار وتاه في الطريق وهو يفكر ما عسى يكون عليه إذا لم يشاهد أحد السيدة أوين وهي تمسح درجات السلم الأمامية في الصباح، لكن السيد جرينهل كان محاميا بارعا وله مكتب صغير في شارع جون وفي ظهيرة يوم مقتلها جاءت السيدة أوين إلى المكتب لتترك وصية فيها كل ما ادخرته إلى المصور الشاب جرينهل، ولو ظهرت هذه الوصية في ظروف مختلفة لما إفادت إلا بإضافة تأكيد آخر على إدانة الشاب بدافع قوي. فهل تتساءلون بعد الآن لماذا فقد الشاب كل إمل إلى أن جاءت شهادة الجيران الذين شاهدوا القتيلة بعد وصوله إلى منزل الأمن.

تابع الرجل في الزاوية: "رأيتك تبتسمين عندما قلت كلمة "القتيلة"

وقد اصبح منفعلا الآن عند وصوله إلى النقطة الحاسمة من القصة.

"أعرف أن العامة قد اقتنعت بعدما أطلق القاضي سراح آرثر جرينهل، بأن الحادث في شارع بيرسي قضاء وقدر أو انتحار"

ردت بولي: "لا، لا يمكن اعتبارها انتحارا لسببين مهمين"

نظر إليها بقليل من الدهشة فظنت أنه يحدق بها ليعرف ما تفكر به؛ فسأل بسخرية:

"وهل تسمحين لي بمعرفة هذين السببين في رأيك؟"

قالت: "لنبدأ اولا بقضية النقود.. هل عثر على المزيد منها في السوق؟"

قال بانفعال: "ولا حتة خمسة دولارات، لقد صرفت كلها في باريس أثناء التحري، وهذا عمل بسيط يمكن أن يتم بواسطة أحد الفنادق أو مكاتب تبديل العملة"

فعلقت بقولها: "يا له من شيطان ذكي ابن الأخ هذا!"

"إذا أنت تؤمنين بوجود هذا الشخص؟"

"ولماذا أشكك بالأمر؟.. يجب أن يكون هناك شخص على دراية بالمرأة والمبنى ليذهب في منتصف النهار دون إثارة الشكوك"

قال بامتعاض: "في منتصف النهار؟"

"أي وقت بعد الثامنة صباحا"

فسأل باستخفاف: "إذا أنت تؤمنين بالناظرة الملتحفة بالشال وهي تنظف الدرجات الأمامية؟" "ألم تستنتجي بعد أن تدربت على التحليل معي أن الشخص الذي أضرم النار وجمع الحطب ونظف استديوهات روبينس عمل كل هذا بهدف كسب الوقت فقط بينما كان الجريمة وقعت كما حدث في جريمة منتزه ريجنت" "في هذه الحالة ابن الأخ متهم تماما"

قالت بتلهف: "لكنني لا أفهم كيف حدثت الجريمة"

"يمكنك معرفة ذلك بنفسك ما دمت تعتقدين بابن الأخ ذاك الذي يستغل طيبة العمة ويهددها ويرعبها لدرجة أنها لم تعد تأمن على نقودها حتى في البنك، وكعادة النساء من طبقتها فإنهن لا يثقن ببنوك بريطانية، وعلى كل فقد سحب نقودها من يعرف ما الذي كانت تنوي فعله بهذه النقود في المستقبل القريب"، "أما بعد نزوتها، فتود أن تتركها للشاب الذي احبته وعرف كيف يكسف عطفها، وفي ذلك المساء جاء ابن الأخ فتوسل للحصول على المزيد من المال وبكت المرأة المسكينة ولم يسكن ألمها إلا الزيارة الممتعة للمسرح"

"في الثانية صباحا غادر جرينهل، ثم وصل ابن الأخ بعد دقائق وطرق الباب، لقد جاء متعللا بأن القطار فاته وطلب منها أن تؤويه هذه الليلة؛ فعرضت المرأة الطيبة عليه أن ينام على المقعد في أحد الاستديوهات، ثم ذهبت تستعد للنوم، والباقي بسيط، وواضح فقد تسلل ابن الأخ إلى غرفة عمته ورآها تقف بقميص النوم فطلب منها نقودا مهددا باستخدام العنف.. ذعرت وتراجعت فكان أن ارتطمت مؤخرة رأسها بأنبوب الغاز فسقطت مغشيا عليها.. بحث ابن الأخ عن النقود وأخذ الـ ٨٠٠ دولارا.. لا بد أنك تقرين أنه عبقري" "لم يكن هناك مقاومة ولا أداة جريمة مخبأة، كانت النافذة مفتوحة فقط والعاصفة الشرقية الشمالية القاسية والثلج المتساقط بغزارة والاثنان صامتان كالموت" "وبعد ذلك قام المجرم وبسابق تنسيق وتنظيم المنزل مما

يوحي بأن السيدة أوين موجودة – ولو لفترة – وبعد ساعات قليلة تسربل بثياب عمته وتلفع بشالها ثم جعل الجيران يشاهدون ما يعتقدونه السيدة أوين، ثم عاد إلى غرفتها مستردا شكله السابق وغادر المنزل بهدوء.

"يمكن أنه شوهد"

"لا بد أنه شوهد من قبل اثنين أو ثلاثة من الناس، لكن أحدا لم يفكر بشيء، وهو يرى رجلا خارجا تلك الساعة، وكان الجو باردا والثلج غزيرا، وبما أنه يرتدي وشاحا يلفه حول القسم السفلي من وجهه فلن يستطيع أحد التعرف إليه إذا رآه ثانية.

سألت بولي: "ألم ير أو يسمع بذلك الرجل بعدها أبدا"

"لقد اختفى من على وجه الأرض، والشرطة تبحث عنه، وقد تجده في يوم ما وعندما سيفقد العالم واحدا من أكثر رجال العصر براعة"

توقف واستغرق في أفكاره، وكانت الشابة أيضا صامتة تطاردها ذكريات غامضة جدا وغير محددة أخذت هذه الأفكار تطرق رأسها بإلحاح وتتلاعب بأعصابها.. كانت الفكرة إحساسا مبهما مرتبطا بالجريمة بداخلها بشكل ما، شيء ما إذا استطاعت ان تتذكر ما هو فسوف تصل إلى السر المأساوي وتؤكد انتصارها ولو لمرة واحدة على هذا (الفزاعة) الساحر الواثق من نفسه في الزاوية.

كان يراقبها بنظارته ذات الإطار العظمي الضخم، وكان باستطاعتها رؤية يديه العظيمتين تماما فوق الطاولة تتململ بعصبية تتململ.. تتململ

لدرجة أنها تساءلت ما إذا كان هناك مجموعة أصابع في العالم قادرة على إحداث هذه العقد في قطعة الخيط المرهق.

هنا تذكرت بولي فجأة ومن لا شيء، وتجسم الأمر كله أمامها بوضوح كومضة البرق، تمددت السيدة أوين ميتة في الثلج بجانب نافذتيها المفتوحتين، وكانت إحداهما مكسورة فربطتها بطرف خيط بطريقة علمية تذكرت الحديث عن هذه النقطة.

كان ذلك عند اعتقال الشاب جرينهل ونفي احتمال الانتحار.

تذكرت بولي أن الصور التي ظهرت في الصحف تفسر وجود قطعة الخيط هذه فثقل الإطار يشد باب النافذة المكسورة لإبقائها مفتوحة، وقد تندر عليها الناس بذلك الخيط فقالوا أن المجرم كان بحارا رائعا جدا ومعقدا جدا وغامضا.. كانت التعليقات عن العقدة حول إطار النافذة كثيرة، لكن بولي وحدها تعرف أكثر؛ فقد رأت بعين عقلها تلك الأصابع وهي تعقد بعصبية تتململ بالخيط بشكل آلي ودون تفكير أنها شقيقة توأم لتلك التي عقدت إطار النافذة بالخيط..

إن الفتاة ترى بوضوح فالأصابع الماهرة تعقد وتعقد وتعقد قطعة الخيط جاعلة العقدة فوق الأخرى بشكل رائع ومعقد لم تشاهد مثيلا له حتى الآن.

قالت بعد ودون أن تجرؤ على النظر إلى الزاوية التي يجلس فيها: "لو كنت مكانك لتخلصت من عادة صنع العقد بقطعة خيط باستمرار".

لم يجب، ثم غامرت أخيرا بالنظر، كانت الزاوية خالية ومن خلال الباب الزجاجي خلف المقعد الذي كان يحتله رأت ذيل معطفه وقبعته الغريبة ثم اختفى في الشارع.

عقد قران الآنسة بولي (كما نشرت الصحيفة المسائية) صباح اليوم التالي على السيد ريتشارد فروبشير، لم تقع عيناها على الرجل في الزاوية منذ ذلك اليوم حتى الآن.

البغاء الذكي

ي . س . بينتلي

(نشرت لأول مرة ١٩١٤م)

قالت السيدة لانسي: "حسنا، هذه هي أختي م ا رأيك بها بعد أن تحدثت إليه؟"

وقف فيليب ترينت القادم لتوه من إنكلترة جانب مضيفته في شرفة الفيلا الإيطالية متأملا المشاهدة الطبيعة الساحرة والأسرة للإنسان الشمالي على الدوام، أما في الطريق المرصوف أمام الفيلا مباشرة فقد وقفت امرأة تنظر إلى البحيرة المترامية عن بعد وهي تتحدث إلى رجل طويل أشيب.

أجاب ترينت: "إن عشرة دقائق غير كافية لكن الشيء الوحيد الذي أستطيع ذكره الآن إنها أجمل شيء يقع عليه البصر" فضحكت السيدة لانسي:

"لكنني أريدك أن تهتم بها شخصيا يا فيليب؛ فهي تعني الكثير لي أكثر من مجرد أخت وإني لأشعر بالإثم بمجرد التفكير بأن فيها خللا ما"

"تقصدين صحتها؟ لكن لا يبدو عليها ذلك"

"نعم، لكني أخشى ذلك"

"معقول؟.. لماذا يا إديث، فالمراة لها مزاج طفل وخطوة حصان وعينان كالجواهر، إنها كأتلانتا بالكتان الأزرق"

فتساءلت السيدة لانسي: "هل صحيح أن أتلانتا تزوجت مومياء مصرية؟"

أجاب ترينت بشرود: "نعم.. إن السير بيرجرين يبدو وكأنه برز من مكان خفي لكن هذا المظهر ساعده في النجاح المهني كما أعتقد؛ فالناس يفضلون أن يكون منظر الأطباء متوعكا إلى حد ما!"

"ربما ولكن لا أظن أن زوجة الطبيب تحب ذلك.. إن إيزابيل تشعر بسعادة غامرة عندما تبتعد عنه، لو كان هنا لتغيرت حالتها تماما عما تراه، فكما تعرف يا فيليب فإن زواجهما كان فاشلا كنت أعرف دائما أن هذا ما سيحدث"

هز ترينت كتفيه وقال: "لنترك الموضوع جانبا يا إديث.. أخبريني ماذا تريدين معرفته عن الليدي بوسورت إذا كانت متوعكة فإني لست بطبيب"

"لا.. ولكن هناك شيء محير كما سترى.. أنت ذكي بما فيه الكفاية لمعرفة الحقيقة لن أخبرك بشيء الآن، بل سأدعك تراقب بيلا عند العشاء بشكل خاص وتدلي لي برأيك.. فيما بعد سأدعك تجلس مواجها لها أما الآن فاذهب وتحدث إليها وإلى الرجل الألماني"

علق ترينت: "إن مظهر سكيفر يثير اهتمامي فهو ذو وجه يشبه إلى حد بعيد وجه فريدريك العظيم، ولكن الاختلاف الذي يبدو أن له روحا ضائعة للأبد"

اقترحت السيدة لانسي: "اذهب واساله عن ذلك"

خرجت الليدي بوسورث من غرفتها للعشاء، بينما يراقبها ترينت بإمعان، لم يلحظ أي تغير فهي تتحدث بحماس عن جمال أمسيات إيطالية وتشارك بمناقشة عامة شيقة ولكن بعد عشر دقائق لاذت بالصمت وبدت على وجهها نظرة غريبة، وشيئا فشيئا فارقتها الحيوية وتبلدت عيناها وانفرجت شفتاها بابتسامة غبية وعلا وجنتيها امتقاع شديد.

لقد فارقها كل مرح وطاقة ولم تستعد توازنها إلا بعد لأي وجهد، وبقيت أكثر من ساعة تتحدث بتلعثم، وها هي الآن جالسة أمام منضدة تنظر أمامها ببلاهة تردد كلمات من مقطع واحد ردا على حديث السيد سكيفر الذي يصبه في أذنها..

قال ترينت في نفسه: "ليس هناك شيء طبيعي فقد تبلدت السيدة كليا وتحولت إلى شخص آخر يعتصر قلبه شفقة"، وبعد ساعة رافقت السيدة لانسي ترينت إلى مقعد في الحديقة يطل على البحيرة.

قالت بهدوء "حسنا؟"

أجاب: "إنه أمر غريب جدا، لكنك لو لم تخبرني أنه يحيرك لوجدت له توضيحا"

"تقصد العقاقير؟"

فهز رأسه بإيجاب، فأوضحت: "كل شخص يظن ذلك طبعا ظن جورج كذلك ولكنه رهيب!" وضربت على الكرسي قائلة: "أجاثا ستون أيضا تلمح بذلك منذ أيام قليلة.. يا لها من قطة ثرثارة إنها تكره إيزابيل، وستنشر في كل مكان بأن أختي مدمنة عقاقير فيليب.. لقد سألتها فيما لو كانت تتعاطى أي شيء فنفت ذلك تماما، وأنا اعرفها جيدا، وبرغم أخطائها فهي لا تكذب أبدا"

فألفت ترينت ينظر إلى الأرض وقال: "نعم لكن لا بد أنك سمعت.."

"أوه.. أعرف! يقولون أن مثل هذه العادات تجعل أشرف الناس يكذبون ويغشون وما إلى ذلك لكن – وكما تري – لم يتغير فيها شيء إلا في ذلك الوقت.. ببساطة أنا لا أقوى على تكذيبها.. إنها لا تستخدم أي نوع من المساحيق ولا تضع شيئا على شعرها وتغسل نفسها كل يوم في الصباح وحتى المساء بصابونة صفراء عادية، كما أنها لا تتناول أي نوع من الكحول او الشاي أو القهوة.. لا أعتقد أن أي شيء في العالم يجعلها تفعل مثل هذه الأشياء"

"منذ متى وهي على تلك الحالة؟"

"هذه هي الليلة السابعة تقول أنها متأكدة من أن الامر عابر، ولن يؤثر على صحتها.. إن جورج وهو المخلص لها يتحدث إليها بصعوبة الآن، وكذلك راند ولفستون، وقبل يومين من وصولك انصرف آل إيلنجورث والكابتن بوروس أبكر من العادة، وأنا متأكدة من أن تغير إيزابيل قد أفسد زيارتهم"

علق ترينت: "لكن يبدو أنها على أتم الوفاق مع سكيفر"

"أعرف أنه أمر غريب لكنه يبدو متاثرا بها"

"نعم.. إنه كذلك، ولكنه تأثر التماسيح – على ما يبدو – فقد تحدثت معه بعد مغادرتك لغرفة الطعام فقال أن الليدي بوسورت ليست على ما يرام وأنه مهتم بحالتها من الناحية الطبية".

"لا أعرف، لكن جورج يدعوه بعالم الإنسان، ولكنه اختلف معه حول السلالات القديمة الموجودة في الهند فهذا هو الشيء الوحيد الذي يعرفه جورج جيدا بعد إقامته لمدة اثنتي عشرة سنة هناك.. لقد حصل بينهما انسجام فوري عند تلاقيهما العام الماضي وعندما دعوته للإقامة عندنا كان في غاية السرور، ورجا أن يسمح له باصطحاب ببغائه إذ لا يستطيع العيش بعيدا عنه"

لاحظ ترينت: "هواية غريبة لرجل؛ لقد عرض علي مهاراته هذا المساء"

"إن السيد سكيفر شخص متمع تماما.. لقد عاش سنوات وسط المتوحشين في غينيا الجديدة قام خلالها بأعمال علمية لمصلحة الحكومة هناك، وقد قال جورج أنهم كانوا يعاملونه باحترام كبير.. أعتقد أنه شخص جذاب ولطيف ولكن هناك شيئا يجعلني أنفر منه".

"ما هو؟"

"ربما تلك النظرة الباردة في عينيه"

وسرت رعدة بكتفها.

"ربما هذا هو الشعور الذي أخذ عنه في غينيا الجديدة.. هل قلت لي يا إديث أن أختك أصبحت بهذا الوضع منذ الليلة الأولى لقدومها هنا؟"

أجابت: "نعم، ولم يكن قد حدث هذا من قبل".

"لقد قدمت من إنكلترا مع آل ستون؟"

"لقد رافقوها في الجزء الأخير من الرحلة فقط "

نظر ترينت نحو غرفة الجلوس إلى وجه السيدة ستون النحيل وهي تلعب بالورق مع مضيفها كانت نحيلة وجميلة ذات عينين كبيرتين مرعبتين يرتسم فيهما طابع الكآبة بالرغم من رسمها الابتسامة الدائمة على محياها".

"قلت أنها تكره الليدي بوسورت.. لماذا؟"

اعترفت السيدة لانسي: "حسنا.. إنه خطأ بيلا، فالحقيقة أنها تنفر بسرعة من أي شخص لا ترتاح إليه.. إن عروقها تضج بالحياة أكثر مما تطيقه أو ترغب به، لكنها تقول ليس هنالك ضرر من ذلك.. لقد عبثت كثيرا براندولف، ومع أنه غبي تماما إلا أن أجاثا لا تطيق مثل هذه المناظر"

علق ترينت: "لكنها تبدو ودودة معها"

فما كان من السيدة لانسي إلا أن أطلقت صوتا يعبر عن احتقار كبير لا يمكن وصفه بكلمات.

أخيرا سألت المضيفة: "وبعد ماذا ستفعل بالأمر يا فيليب، فأنا لا أعرف ما أفكر به، هذه الأعراض المرضية التي تصيب أختي تخيفني جدا".. ثم أضافت بصوت منخفض جدا: "أيكون بداية خبل؟"

أجاب بصوت مطمئن: "أوه.. عليك ألا تفكري بهذه الحماقات.. أصغي لي يا إديث عليك تدبير أشياء معينة غدا دون طلب أي تفسير لها ولا تخبري أحدا عما أقوله لك حتى جورج – إلا فيما بعد – اتفقهيني"

همست السيدة لانسي: "يا للإثارة!.. نعم أيها الرجل الغامض.. ماذا تنوي فعله؟"

"هل بإمكانك تدبير الأمور غدا، لنذهب برفقتك ورفقة الليدي بوسورت في رحلة في القارب فوق البحيرة مدة ساعة أو اثنين، ثم نعود للغداء نحن الثلاثة فقط مع السائق؟"

أومأت: "ثم نهبط نحن الثلاثة من القارب إلى سان مارميت – يا له من مكان جميل – ونعود قبل السابعة حيث يكون الجو عند البحيرة رائعا في ذلك الوقت"

"سيكون هذا ممتازا إذا وفقت إليه، وهناك شيء آخر: أريد منك أن تطلبي من السائق أن يفعل كما أريد مهما كان الطلب"

قامت السيدة لانسي بالأمر دون أي صعوبة؛ ففي الساعة الخامسة أبحر الثلاثة مع شاب قوي ذي أساليب بارعة في قيادة المراكب البخارية.. انساب القارب بلطف جنوبا قاطعا ميلا بعد ميل في البحيرة الطويلة، ثم أرسى القارب عند مشهد من أبدع المناظر يذكر سحرها الريفي بالطفولة، وبينما راحت الفهم والاستيعاب من قبل السائق وخاصة على عينيه وأسنانه.

ثم توجهوا بعد فترة نحو سان مارميت وتسلقوا الطريق الجبلي إلى كنيسة صغيرة على بعد نصف ميل، ومن هنا شاهدوا الرسوم والتماثيل المثيرة.

عادوا في الساعة السادسة والنصف تماما ليقابلهم السائق بارتباك واعتذار شديدين؛ فعلى ما يبدو أنه أثناء انشغاله مع صاحب الحانة في ذلك المكان جاء شخص مجهول وقام بتعطيل المحرك، وعندما سئل عن المدة التي يستغرقها إصلاح المحرك أجاب وقد غلبه الارتباك أنه يخشى أن الأمر سيستغرق ساعات، ثم أضاف أن القارب العمومي التالي سيصل بعد التاسعة، وبهذا فلن يتمكنوا من العودة إلا في ذلك الوقت، وأجاب

على سؤال آخر إن كان بالإمكان الاتصال هاتفيا من مكتب البريد فيزودهم بالطعام اللازم.

سرت الليدي بوسورث، وأعلنت أنها لن تفوت هذه الفرصة مقابل أي شيء، وأطرت على ترينت الذي بدا رفيقا ممتازا.

كان عشاءً بهيجا، تحت ظلال العرائش على يابسة صغيرة تطفو فوق البحيرة.

ثم أتى المركب العمومي وتوجه الركاب يتوافدون مقررين العودة وبينما هم يبحثون عن مقاعدهم دست السيدة لانسي يدها في ذراع ترينت وهي تهمس: "لم يبد عليها أي أعراض طوال الأمسية فبم تفسر هذا؟"

لم يجد ترينت فرصة للاختلاء بمضيفته حتى مساء اليوم التالي في الحديقة..

قالت السيدة لانسي: "لقد كانت مبتهجة جدا البارحة لأنها لم تمر بالأعراض المرضية وقالت أنها كانت تعرف بأن الامر عرضي ولا تعرف سببا لشفائها ولا حتى أنا"

أجاب ترينت: "لا تعرف أن البارحة هي البداية لكننا لا نستطيع إبعادها كل يوم بشكل مفاجئ.. أما الخطوة الثانية فيمكن القيام بها الآن إذا أردت.. أعتقد أن الليدي بوسوث ستبقى في الخارج حتى المساء؟"

"لقد ذهبت للتسوق في البلدة.. ما الذي تريد فعله؟"

"أريدك أن تأخذيني إلى غرفتها، وهناك أريدك أن تبحثي جيدا في كل زاوية وكل صندوق وكل درج وحقيبة وتعرضي علي ما قد ترينه..."

قاطعته السيدة لانسي، وقد تورد وجهها: "لكني أكره فعل هذا".

"عليك أن تكرهي أكثر منظر أختك هذا المساء، وقد عاودتها الأعراض السابقة.. انتبهي لي يا إديث إن الموقف بسيط للغاية إذ تصعد الليدي يوسورث إلى غرفتها يوميا – عدا البارحة – استعدادا للعشاء، وتخرج منها كما دخلت إلا أن وعكة تصيبها بعد فترة.. فهل هناك مكان آخر غير تلك الغرفة حيث يمكن أن تتعرض لذلك العارض فيه؟"

ظلت السيدة لانسي مقطبة الجبين مشغولة الخاطر ثم قالت أخيرا: "تعال معي"، وقادته إلى القسم الأعلى من المنزل، وبعد عشر دقائق قالت السيدة وهي تجلس على السرير:

"لم يبق مكان نبحث فيه إلا تحت الأرضية أو في قارورة، مما يطابق الشكوك، ما الذي يثير اهتمامك بعلبة طلاء الأظافر؟ لا بد أنك رأيت مثلها قبل الآن بالتأكيد؟" أجاب ترينت: "هذا التصميم الزخرفي من الفضة المطروقة بديع جدا، وأصلي، لم أشاهد قط شيئا من هذا القبيل"

علقت السيدة لانسي بارتياب: "هراء.. إن الزخرفة نفسها موجودة على قطع التواليت كلها ولم يلفت انتباهك إلا قارورة الطلاء!"

ثم أضافت ببطء: "تبدو مسرورا في قرارة نفسك"

استدار ترينت ببطء وقال: "إنني أفكر فقط فيمن يشغل الغرف على جانبي هذه الغرفة يا إديث"

"من جانب: آل ستون، ومن الآخر: السيد سكيفر"

"حسنا سأقوم بنزهة بمفردي لأفكر بهدوء.. إلى اللقاء"

لم يكن ترينت في المنزل بعد ثلاث ساعات حيث علت أصوات تحطم في الطابق الأعلى.. تفاجأ المتواجدون في الرواق في الأسفل بصرخة عالية، ثم قرقعة خطوات هاربة، ثم المزيد من أصوات الأقدام وأصوات مستثارة، وصرخات أخرى حادة وغير بشرية. أخيرا جاء صوت السيد سكيفر العالي والمميز مفسرا الضجة في الأعلى. صاح من أعلي السلم:

"جيسكو! جيسكو" فسمع صوت خشخشة مكتومة وإذ ببغباء قادم، وهو يصفق بجناحيه من غرفة الليدي بوسورث تتبعه ثلاث خادمات مذهولات، كان صدر الطائر يخفق من الإرهاق والذعر، ولكنه استعاد الإحساس بالطمأنينة، وهو يحط على رسغ سيده الممدودة.

صاح السيد سكيفر وهو يمسك برأس الطائر ويهزه بعنف: "اخرس يا شيطان! لا أعرف كيف أعتذر"، ثم أوضح: "لانسي.. لقد أفلت الطائر الملعون بطريقة ما من سلسلته، لقد تركته في غرفتي قبل تناول الشاي"

أجاب مضيفه الذي بدا مسرورا بهذا التغيير: "لا عليك.. لا عليك.. لا أعتقد أنه أتى بضرر عدا إخافة النساء".. قدم يال، وقد اقترب من الباب المفتوح لغرفة النوم حيث هرعت السيدات إليها: "هل هناك أي شيء؟" كانت وصيفة الليدي بوسورث جالسة أمام السيدات تحكي قصة مثيرة لخصتها السيدة لانسي بقولها:

"عندما دخلت الخادمة إلى الغرفة لترتيبها استعدادا لسيدتها سمعت على حين غرة صوتا غريبا ثم شاهدت الطائر يحط على أعلى المرآة، ويحدق بها، وقد أرعبها المنظر لدرجة أنها أسقطت الدلو ولاذت بالفرار، فجاءت الخادمات الأخريات لمساعدتها وطرده، ولم يخطر ببالهن استدعاء السيد سكيفر"

أمر السيد، جيسكو: "اعتذر يا إبليس!"، فصاح البغباء بكلمات ألمانية مبهمة. تجهم السيد سكيفر: "إنه يطلب الصفح ألف مرة، ولن يكرر هذا مرة أخرى"

هرعت السيدة بوسورث خارجة من غرفتها وهي تحتج: "لن أطيق سماع مثل هذا الكذب كيف عرف أن خادمتي ستذعر.. إنه يبدو خسيسا.. أبعده يا سيد سكيفر من هنا وقم بتهدئته"

بعد نصف ساعة من هذا دخلت السيدة لانسي غرفة زوجها وقالت له: "يجب أن أعترف أن بيلا كانت مهذبة جدا مع السيد سكيفر بشأن طائره.. هل تعرف ماذا فعل صاحبنا الصغير؟"

"لا يا عزيزتي.. أعتقد أنه نجح في إخافة الخادمة حتى وقف شعر رأسها"

"هذا ليس كل شيء.. يبدو أنه استغل الفرصة جيدا، فانتزع أزرار زوجين من القفازات والتقط دابيس الشعر وأفسد طلاء الأظافر، واختفت القارورة الفضية تماما".

قال السيد لانسي وهو يربط حذاءه: "شيء مؤسف"

قالت زوجته ببرود: "أعتقد أنك تسخر"

"يجب أن تعترفي أنه من المضحك حقا التفكير بأن الطائر قد تعمد حبك مثل هذا البرنامج لسرقة الأشياء.. على كل سنحاول أن نقدم لبيلا عدة طلاء أظافر جديدة، وإني مسرور لأنها أمسكت عن ذكر هذا الموضوع حاليا"

"لماذا؟"

"لننا يا عزيزتي لا ندعو الآخرين إلى منزلنا لإزعاجهم، خاصة الأجانب"

"إن بيلا لم تفكر بمثاليتك في واجبات الضيافة عندما أمسكت لسانها بل لأنها تستهوي سكيفر، ولكن يا جورج كيف تعتقد أن الشيطان الصغير دخل الغرفة؟ فالنوافذ مغلقة، وأكدت أن الباب كان مغلقا عند دخولها".

أعتقد أن الخادمة تغالط نفسها، على أي حال فماذا في الأمر؟..
المهم بالنسبة لي أختك التي كانت بحالة طبيعية مساء البارحة عندما بقيت خارج البيت.. إنني أشعر بالحرج فعلا يا إديث، وما أخشاه الليلة أن تعاودها تلك النظرة المميتة"

لكن لم تتكرر تلك الحالة في هذه الليلة ولا في أي ليلة من الليالي التي تلتها وأصبحت الليدي بوسورث طليقة من كل المظاهر المرضية فاستعادت العائلة الصغيرة بهجتها، أما شفتا ترينت فقد أغلقتا تماما.

بعد ثلاثة أسابيع دخل ترينت إلى غرفة السير بوسورث، كان الجراح المشهور طويل القامة ضخم الجثة ذا فك ضيق وأنف مقوس على أنه رجل لطيف المعشر لا تفارق الابتسامة وجهه إلا أن خطوط الحزن قد طبعت وجهه.

قال السير بوسورث: "هلا جلست يا سيد ترينت.. لقد أرسلت إلي ترغب بمقابلتي بشأن موضوع خاص يهمني شخصيا، ولم أتخيل ما هو، ولكن اسمك المعروف جعلني لا أتردد في مقابلتك"

هز ترينت رأسه: "أعتذر لك يا سير، لكن الأمر في غاية الأهمية وشخصي إلى أبعد حد.. لا يعرف الأمر أحد سواي.. لن أضيع الوقت بالكلمات، لقد قضيت الفترة الأخيرة بصحبة آل لانسي في إيطاليا، وكما تعرف كانت الليدي بوسورث ضيفة عليهم أيضا، لقد عانت عدة ليال

قبل وصولي من نوبات مبهمة من توقف الذهن والبلاهة لا أعرف ما هي، ولكن قد تعرف أنت"

كان السير يستمع بجمود وابتسامة كئيبة على شفتيه "إن الاوصاف التشخصية غير كافية إضافة إلى أني لم أسمع شيئا من هذا من زوجتي" "كانت تنتابها الحالة في وقت معين من اليوم بعد الثامنة بدقائق — أي في بداية العشاء — ثم تتلاشى تدريجيا خلال ساعتين"

وضع السير بوسورث يده على المكتب، وقال بصورة باردة وعدائية نوعا ما: "إنك لست بطبيب يا سيد ترينت كما أعتقد، فما الذي يهمك بهذا الأمر؟"

أجاب ترينت باقتضاب: "الكثير" ثم أضاف، وقد رأى السير بوسورث يقف على قدميه وقد توقدت عيناه: "إنني لا أعرف شيئا عن الطلب ومع ذلك فقد شفيت الليدي بوسورث"

جلس الآخر فجأة وسقطت يداه المفتوحتان على المكتب وشحب وجهه قال بصعوبة:

"أنت..."

"لا أحد غيري يا سير بوسورث، وبطريقة بسيطة للغاية فقد وجدت سبب المشكلة وإزلته دون معرفتها لقد كان.. أوه! يا للشيطان!" وقد صاح بالكلمات الأخيرة بصوت منخفض عندما رأى السير بوسورث وقد امتقع وجهه حاول النهوض فسقط ووجهه على الطاولة.

هرع ترينت الذي سبق له رؤية مثل هذه الحالة سحب كرسيه عن الطاولة ووضع جبينه على ركبتيه وفي لحظات كان الرجل المصعوق جالسا في مقعده وأخرج من جيبه زجاجة وشرب منها.

قال ترينت: "ربما تعاني من إعياء هناك شيء غير طبيعي والأفضل ألا..."

استجمع السير بوسورث نفسه وقاطعه: "أعرف الشيء غير الطبيعي في يا سيدي فهذا شأني وحدي، ولن يتكرر.. أرغب بمعرفة ما كنت تريد قوله قبل مغادرتك هذا المنزل".

"حسنا.. لقد طلبت أخت الليدي يوسورت السيدة لانسي مني مساعدتها في اكتشاف مصدر النوبات التي تطرأ عليها كل مساء.. لن أزعجك بالتفاصيل لكني توصلت إلى أن الليدي كانت تحت تأثير عقار يوهن قواها العقلية دون أن يسبب لها مضاعفات أخرى أو نوما، وخلصت إلى أنها تتناوله دون علم منها".

توقف قليلا متحسسا جيب معطفه ثم أكمل: "عندما قمت والسيدة لانسي بتفتيش غرفتها لفت انتباهي عدة طلاء الأظافر على طاولة الزينة، وقد أخذت الصندوق مظهرا إعجابي به ونظرت إلى داخله فوجدت قارورة مرطب الشفاه، وبدا واضحا أن هذه القارورة مستخدمة كما ترى فإنه من المفيد الانتباه إلى توافه الأمور أحيانا؛ لذلك قمت بأخذ هذه القارورة ووضعها في جيبي دون معرفة السيدة لانسي"

قال السير بوسورث وهو يتابع القصة باهتمام ساخر: "ماذا كان بها؟"

"بما أنني جاهل بمثل هذه الأمور، فقد توجهت نحو صيدلية إنكليزية في المنطقة وطلبت من صاحبها تحديد المادة الموجودة ثم قال: إنها مخدر شفاه دون ريب"

"تذكرت عندها كيف كانت شفتا الليدي حمراوين في إحدى النوبات بينما شحب كل وجهها، وربطت هذه الملاحظة بأخرى عندما ذهبت مع الليدي وأختها في نزهة على البحيرة وتناولنا العشاء في حانة ريفية لاحظت أن الليدي بوسورث لم تبد عليها أية أعراض وهي خارج المنزل ولكنها كانت تلعق شفتيها بلسانها مرة تلو الأخرى"

فعلق السير بورسوث ببرود: "إنك ملاحظ جيد" وشرب جرعة أخرى من الزجاجة.

أجاب ترينت بوجه متجهم: "لطيف منك أن تقول ذلك وبعد أن جمعت كل هذه الملاحظات عرفت أن الليدي بوسورث قد اعتادت وضع مخدر شفاه عند استعدادها للعشاء كل مساء ربما لأنها تجد شفتيها جافتين، أو لعدم قدرتها على استخدامه نهارا حيث يفتضح أمره بسهولة فقد علمت أنها تحتاط للظهور بجمال طبيعي، وتتستر بمساحيق الزينة التي تخضبها في علبة أدوات الطلاء ومن بينها هذه القارورة، ولا يسعدني كشف هذه الخدعة الصغيرة، ولكن هذا الذي حدث وسرعان ما اكتشفت أن هناك يدا عبثت به.. بعدما غادرت الصيدلية ذهبت إلى

مكان منعزل في حديقة المتحف ووضعت أقل لمسة ممكنة من المخدر على لساني، ثم انتظرت لأرى النتيجة خلال خمس دقائق، فقدت كل قـواي العقليـة، ولـم أعـد أملـك أي إدراك أو إرادة فقـدت كـل اهتمـام بتجربتي مع بقائي واعيا وقادرا على الحركة ولم يشلني سوى القدرة العقلية، وهكذا ظللت أحدق بالعالم مدة ساعة كاملة كالثور"

وفتح ترينت أصابعه ليظهر صندوقا مدورا صغيرا من الفضة المطروقة الموشاة بزخارف رائعة.

"لقد رأيت أن أفضل طريقة اختفاء الصندوق كله وبطريقة طبيعية لا تثير الشكوك لأن اختفاء المخدر وحده سيلفت انتباه الليدي بوسورت وشكها، وبما أنها لم تشك بالمادة بعد فقد اقتنعت بوجوب إبقائه سرا.. إن عينيك تسألاني: لماذا؟.. السبب أني لا أريد تعريض عائلة لانسي للفضيحة فنحن أصدقاء قدامي. الآن ها أنا والصندوق أمامك، ولا يعرف أحد بسره المجنون سوانا"

توقف ثانية، ونظر إلى عيني السير بوسورث اللتين تحجرتا عليه بجمود كعيني تمثال.

تابع ترينت: "أصبح من الواضح طبعا أن احدا ما قد عبث بالمادة قبل رحيل الليدي إلى إيطاليا أو بعد وصولها مباشرة" لقد انتابتها الحالة أول مرة بعد وصولها بساعتين لذا لا يمكن أن يكون العبث قد تم بعد وصولها.. عندما ساءلت نفسي من تسنى له العبث بالمخدر قبل مغادرة الليدي منزلها وجدت نفسي أمام جواب غير سار"

تململ السير بوسورث في كرسيه: "يبدو أنك اطلعت على حقيقة حياتنا الزوجية أو على جزء منها على ما أعتقد"

هز ترينت رأسه وقال: "عندما وصلت إلى لندن قبل ثلاثة ايام ذهبت إلى صديق لي وهو خبير بالتحليل وعرضت عليه المادة فأرسل لي التقرير التالي"

ووضع على الطاولة مظروفا: "لقد اهتم بالمادة التي عثرت عليها لكني لم أشبع فضوله لأنه وجد المخدر قد عولج بكمية ضئيلة من نوع نادر من القلويات يدعى "بالبورفيزني" وتؤثر مركباته على الجملة العصبية للإنسان، وقد عرف أن هذا النوع قد اكتشف على يد هينري بورفيز منذ عشرين عاما، وكما ترى فقد وجدت بالتحريات أنك يا سير بوسورث كنت مساعدا له في ذلك الوقت في آيدنبرج"

توقف عن الحديث وسار صمت قصير، بينما نظر السير بوسورث أمامه مرة أو مرتين ثم أخذ نفسا عميقا وبدأ يتحدث بهدوء.

قال: "لن أضيع الوقت بالكلمات محاولا تسويغ حالتي العقلية أو تصرفي ففي هذا الموضوع سأخبرك بالشيء الأساسي، وأدع الباقي لخيالك.

إنني مفتون بزوجتي حتى الآن، إني أكبرها بكثير، ولا أظن أنها توليني كثيرا من الاهتمام الآن، لكنها كانت من رجاحة العقل حيث تزوجت من أحمق ثري وبعد سنة واحدة من زواجنا لم أعد أتحمل مغالطة

نفسي بشأن ضعفها الشديد أمام مغازلة، لقد تجاوبت معها شيئا فشيئا دون أن تحاول خداعي، وإذا ما أخبرتك عن مدى معاناتي فلن تستوعب، وأسوأ ما في الأمر عندما تكون مع أصدقائها بعيدة عني أخيرا اتخذت الخطوة التي عرفتها، ولا أكتمك أنها خطوة وضيعة وسندعها عند هذا الحد إذا أردت، وإذا عانيت قدر ما أعاني فستقدر على إصدار حكم عادل على أني أعرف عادة زوجتي التي اكتشفتها، وهي استخدام مخدر شفاه لزينتها المسائية، وعند الليلة السابقة لرحيلها أخذت القارورة ومزجتها بنسبة محضرة من عقار البورفيزن.. إن النسبة التي ستدخل الفم بعد طلاء الشفاه محسوبة بدقة بشكل يحدث الأعراض المذكورة مدة ساعة أو ساعتين دون مضاعفات أخرى، لكني أعلم ما سيكون انطباع أصدقائها وهم يشاهدونها على تلك الحالة أردت تحويل جاذبيتها إلى نفور، وكدت أنجح، لقد كنت مجنونا عندما فعلتها وسأظل نادما على ذلك ما حييت، وأنا سعيد لأن الأمر قد انتهى، أما الآن فأرجو أن تطلعني على ما تنوي فعله".

التقط ترينت الصندوق وقال: "إذا وافقت يا سيد فسأرمي هذا من جسر ويستمنستر الليلة لكي لا يعاد أي شيء من هذا القبيل ثانية، ويدفن الموضوع برمته، إن قصتك خسيسة ولا أعتقد أن ضمير أي منا يقبل مثل هذا الفعل وليس عندي ما أضيف!"

ثم وقف وتحرك باتجاه الباب، فوقف السير بوسورث أيضا بعينين منكسرتين وذهن مشغول بالخواطر. قال بلهجة رسمية: "أعتذر لك يا

سيد ترينت لقد أثارت تحرياتك السابقة اهتمامي غير أن لدي سؤالا: كيف وفقت إلى إخفاء الصندوق كله دون معرفة صاحبته حتى لا تشك بمحتوياته؟"

أجاب ترينت، وهو يدير مقبض الباب: "أوه.. بسهولة بعد أن جربت المادة على نفسي عدت إلى البيت قبل تناول الشاي ولم أجد أحدا، وصعدت إلى الأعلى حيث الببغاء، وحللت وثاقه، ثم حملته إلى غرفة الليدي بوسورث، وهناك وضعته على طاولة الزينة وغطيته قليلا بأدوات الطلاء ليهتم بهم ثم أخذت بعض الأزرار معي حتى لا يظن أن هناك تعمد في إخفاء الصندوق وحده، ثم تركته يفعل ما يشاء بعد إغلاق الغرفة، بينما غادرت المنزل ثانية فقام بإفساد الأشياء الأخرى، كما وجد فيما بعد، وهكذا أصبح اختفاء الصندوق واحدة من عدة أشياء سببها الببغاء ولم تشك الليدي بشيء" أضاف السير بشرود: "أعتقد أن تلك الحادثة هي الوحيدة التي فيها الببغاء ذا نفع ما".. وخرج ترينت مبتعدا.

اللمعة الزرقاء

أوستن فريمان

(نشرت لأول مرة عام ١٩٠٩ م)

نظر ثورنديك إلى رصيف المحطة بقلق متزايد كلما اقترب موعد انطلاق القطار، قال: "إنه حظ سيء جدا" وأخذ يحدق إلى الحارس وهو يلوح بالراية الخضراء: "أخشى أننا قد أضعنا صديقنا"، وأغلق الباب، بينما أخذ القطار بالتحرك أخرج رأسه من النافذة وقال: "أتساءل إذا كان ذلك الذي يركض هو صاحبنا، إذا كان هو فلا بد أنه لحق بالقطار آخر لحظة وهو الآن في إحدى المقصورات المتطرفة"

كان حديث ثورنديك يدور حول السيد إدوارد ستوب فورد من شركة ستوب فورد وميرس للمحاماة، وما يربطه بنا في الوقت الحالي برقية وصلتنا في المساء الماضي فحواها: "هل تستطيع الحضور غدا؟ حالة مستعجلة النفقات مدفوعة – ستوب فورد"

رد ثورنديك بالإيجاب، ثم وصلته برقية اخرى هذا الصباح مفادها سأصل إلى ودهورست بقطار الساعة الثامنة والربع فهل يمكن أن أراكما هناك – إدوار ستوب فورد"

وبما أنه غير معروف لأي منا، فمن الصعب أن نجزم إذا كان بين المسافرين على الرصيف أم لا.

كـرر ثورنـديك: "حـظ سـيء جـدا.. لقـد حرمنـا مـن فرصـة الإلمـام بالنقاط الأساسية للحالة القديمة" ملأ غليونه بانشغال ثم أخرج الصحيفة وبدأ بتصفحها كانت عيناه تجري على العناوين قال وهو يقلب الصحيفة: "مـن الصـعب أن تسـتلم قضـية دون أي فكـرة مسـبقة أو تحضـير فعلـى سبيل المثال..."

توقف عن إتمام الجملة، وعندما نظرت مستفسرا وجدته منكبا على الصحيفة، وهو يقرأ باهتمام. ثم قال: "إن هـذه تبـدو مشـابهة لقضـيتنا يا جيرفيس" ثم ناولني الصحيفة مشيرا إلى فقرة في أعلى الصفحة بعنوان: "جريمة رهيبة في كنت" أما نصها فكان:

"اكتشـفت جريمـة مثيـرة صـباح البارحـة فـي قريـة ودهورسـت الواقعـة علي الخـط الثـانوي المتفـرع مـن تقـاطع هـالبوري، كـان أول مـن اكتشـفها أحـد الحمـالين فـي المحطـة والـذي كـان واقفـا أمـام عربـات الـدرجات الأولى، وما أن فتح الباب حتى ذعر لرؤية جيد امرأة بزي عسكري يتكوم على الأرض، تـم اسـتدعاء الإسـعاف علـى الفـور بإشـراف الـدكتور مـورتن الذي أفاد أن الوفاة قد حدثت منذ بضع لحظات"

تـدل حالـة الجثـة علـى جريمـة وحشـية؛ فسـبب الوفـاة جـرح عميـق الرأس يخترق عظام الجمجمة ليصل إلى الدماغ. لـم يكـن سـبب الجريمـة مجوهرات المغدورة وأشياء أخرى ثمينة لـم تمـس. وقد رددت الإشـاعات أن الشرطة المحلية قد قامت باعتقال أحد الاشخاص فعلقت: "يا له من أمر شنيع لكن التقرير لا يزودنا بتفاصيل وافية".

ثم سلمت الصحيفة إلى صاحبي الذي وافق على ذلك: "نعم، ومع ذلك فهي تقدم شيئا يستحق التفكير؛ فهناك الجرح العميق في الجمجمة، فما الأداة التي تسبب مثل هذا الجرح؟ وكيف يمكن استخدام مثل هذه الأداة في حدود المطقة الضيقة لعربة القطار؟.. ومن ذلك الشخص الذي يكون بحوزته مثل هذه الأداة؟ كل هذه الأسئلة الأساسية إضافة إلى الدوافع الممكنة – ومنها السرقة – قضية بحاجة إلى تفكير وتمحيص".

فقلت: "إن اختيار الأداة المناسبة ليس شيئا عظيما".

"لكنه محدود؛ فمعظم من يستخدم مثل هذه الأداة كإزميل النحات أو مطرقة الجيولوجي لهم مجالات معينة، هل لديك كتاب ملاحظات؟"

تقبلت الفكرة وأخذت أتفحص الكتاب بهدوء، بينما انغمس صديقي في خواطره وأفكاره حتي أيقظته حركة القطار، وهو يتباطئ لدى وصوله إلى تقاطع هالبوري حيث علينا الانتقال إلى خط آخر. لاحظت ونحن نخطو خارجين، شخصا حسن الهيئة والهندام يسرع على الرصيف وهو يتصفح الوجوه باهتمام، وسرعان ما انتبه إلينا فاقترب بسرعة، وسأل وهو ينقل بصره بيننا:

"دكتور ثورنديك؟"

أخذ ثورنديك يفكر بصمت، ولم ينتبه إلا عندما تحرك القطار من محطة شينغل هورست.

قال السيد ستوب فورد: "لا بد أن الجريمة قد حدثت هنا أو على الاقل بين هذا المكان وولدهورست"

رنا ثورنديك للحظة إلى المناظر المطلة من النافذة ثم علق أخيرا: لقد لاحظت انتشار رقاقات خشبية على طول الخط الحديدي ويبدو بعضها جديدا فهل جرت أعمال التثبيت مؤخرا؟ "

أجاب ستبفورد: "أعتقد هذا فقد رأيت فريقا من العمال قرب ولدهورست البارحة وقالوا أنهم سيجمعون الرقاقات ويحرقونها معا.. لقد رأيت الدخان المتصاعد في طريقي إلى هذا المكان"

نظر ثورنديك إلى الكومة المشتعلة إلى أن عبر قطار المواشي على الخط المتوسط وحجب المنظر عن الأنظار، والآن بدأ القطار بالتباطؤ، وبعد لحظات وصلنا إلي محطة ولدهورست.

لا بد أن إشاعات اشتراك ثورنديك قد سبقتنا لأننا شاهدنا حمالي المحطة والمراقب والرئيس ينتظرون على الرصيف، وقد هرع الأخير بجلالته لمساعدتنا في حمل المتاع.

سأل ثورنديك المحامي: "هل تعتقد أن بإمكاننا رؤية العربة؟"

فرد رئيس المحطة: "نعم، ولكن ليس من الداخل يا سيدي فقد قام بتشميعها"

ثم عرض علينا صحبته إلى العربة.

سأله ثورنديك: "من هم المسافرون الآخرون الذين كانوا في عربة الدرجة الأولى؟"

"لا أحد يا سيدي.. هناك عربة واحدة فقط كانت فيها المغدورة لقد أفزعنا هذا الحادث كثيرا"، ثم تابع عندما وصلنا إلى الخط الآخر: "لقد كنت على الرصيف عندما جاء القطار أشاهد العمل وهم يحرقون قطع الخشب، وأقترح أن نغير خط قطار المواشي بعيدا فكما ترى يا سيدي الدخان المتصاعد قد يهيج ويخيف المواشي، والسيد فيلتون لا يرغب في معاملة مواشيه بفظاظة لأن ذلك يفسد اللحم كما يقول".

قال ثورنديك: "إنه محق بلا شك، لكن أخبرني هل تعتقد أنه يمكن لأي شخص أن يدخل أو يخرج من باب الطوارئ؟"

أجاب المدير: "أشك بذلك، ولكن ليس مستحيلا"

"شكرا لك.. سؤال آخر: هناك فريق عمل على الخط كما أرى، فهل ينتمي هؤلاء الرجال إلى المقاطعة؟"

"لا يا سيدي.. إنهم غرباء، ولكن لا ضرر منهم فإذا كنت تظن أن أحدهم قد..."

قاطعه ثورنديك بحدة: "أنا لا أشك بأحد، ولكني أرغب بجمع الحقائق".

أجاب الموظف المرتبك: "طبيعي يا سيدي" بينما تابعنا طريقنا في صمت قال ثورنديك ونحن نقترب من المقصورة الفارغة: "هل تذكر بالمناسبة إذا كان باب الطوارئ مغلقا بالقفل عند اكتشاف الجريمة؟"

"لقد كان مغلقا يا سيدي، ولكنه ليس مغلقا بالفعل، لماذا يا سيدي هل تظن..."

"لا شيء.. لا أظن شيئا.. المقصورة المختومة بالشمع هي المقصودة طبعا؟"

واندفع دون انتظار الرد إلى المقصورة، بينما قمت بإعاقة الباقين عن اللحاق به.

لفت انتباهه سلم الطوارئ بشكل خاص، ثم أخذ يتفحص الجانب المقابل للمقصورة المشهودة، وهو يروح ويغدو ببطء وعيناه مركزتان على بعد إنشات قليلة من سطح العربة وكانوا يبحثون عن شيء ما. ثم توقف أمام نهاية الحافة (المقصورة) وأخرج قطعة ورق من جيبه ثم التقط بطرف إصبعه شيئا ما وضعه بحرص شديد في الورقة وطواها ثم وضعها في جيبه.

بعد ذلك صعد سلم العربة وقام برش مسحوق معين على النافذة، ثم انتظر وشاهد كيف يتجمع المسحوق على النافذة الوسطى خاصة، ملتصقا بشيء ما، ثم قام بقياس تلك النافذة بمسطرة أخرجها من جيبه.

ووقف بعد ذلك يتأمل العربة عن بعد ثم أعلن أنه انتهى في الوقت الحاضر، وبينما كنا نهبط عائدين قابلنا عاملا كان يراقب الكراسي والقطع الخشبية باهتمام أكثر من المعتاد.

فقال ثورنديك: "أريد أن اتخلف عنكم لحظة لأتبادل مع هذا العامل بضع كلمات فأرجو منكم أن تتابعوا طريقكم ببطء"، ثم استدار واتجه إلي العامل، وبقي معه بضع لحظات.

وشاهدنا المحقق هناك مصادفة فقدم نفسه وقال: "لا بد أنكم ترغبون بمشاهدة أداة الجريمة"، فصحح ثورنديك: "نصل المظلة نعم إذا سمحت سنذهب الآن إلى المشرحة".

"عليك بعبور المحطة إذا وسأرافقك"

تمت الموافقة على هذا العرض وذهبنا إلى مركز الشرطة مع رئيس المحطة الذي كان في قمة الانفعال

قال المحقق: "في الحقيقة ليس هناك أي فرصة للدفاع فكل الأدلة بما فيها أداة الجريمة نفسها تشير إلى المتهم"

لكن ثورنديك احتج قائلا: "تعال، تعال، يجب ألا نتصرف بحماقة"

ثم أخذ الأداة وتفحصها بعدسة، وبعد أن أخذ ملاحظات عن حجمها وقياسها قال: "والآن دعونا ننظر إلى صندوق الألوان ومخطط

الرسم.. يا له من رجل مرتب أخوك هذا يا ستوب فورد فكل شيء له مكان خاص نظيف بعد الاستعمال".

وتناول المخطط ووضعه على الكرسي تحت قدر كاف من الضوء ثم تراجع خطوات إلى الخلف ونظر إليه.

قال بتعجب وهو ينظر إلى المحامي: "وتقول لي أنه من ثلاث ساعات فقط.. حقا إنه إنجاز عظيم"

أجاب ستوب فورد: "إن أخي عامل رشيق"

أعاد ثورندك المخطط إلى مكانه وشكر المحقق ثم غادر المكان.

وبينما كنا نصعد إلى الشارع قال: "أعطاني المخطط وصندوق الألوان إيحاء مفيدا جدا"

فقال ستوب فورد بغموض: "وأنا ايضا؛ فهما محجوزان كصاحبهما المسكين".

ثم تنهد بعمق ومشينا بصمت.

يبدو أن حارس المشرحة قد سمع بمجيئنا لأننا وجدناه منتظرا أمام الباب والمفتاح في يده وعندما اطلع على إذن الدخول فتح الباب ودخلنا معا.

ومن النظرة الأولى إلى الشبح الملفوف والممدد على الطاولة الرخامية شحب وجه ستوب فورد وتراجع متعللا أنه سينتظر في الخارج

مع الحارس، وما أن أغلق الباب حتي أخذ ثورنديك يتفحص بفضول المكان المدهون بالأبيض.

سقط شعاع من الشمس على الجسم المسجى تحت الأغطية البيضاء، وآخر على زاوية قرب الباب على طاولة وضعت عليها ثياب المرحومة وأغراضها.

قال ثورنديك: "هناك حزن لا يوصف في هذه البقايا البائسة" ثم وقف أمامها وتابع: "إنها أكثر مأساوية في نظري من الجثة نفسها. انظر إلى القبعة الفاخرة والجوارب الثمينة، وكيف تعبران عن الوحشية، والحذاء الفرنسي الصغير كل هذا يتحدث بفصاحة عن الرقة الأنثوية والحياة المرفهة اللامبالية والتي توقفت بلمحة عين، لكننا يجب ألا نكون عاطفيين فهناك حياة أخرى مهددة وهو في حمايتنا".

ثم قلب القبعة بين يديه، وكانت من الطراز الأول المسمى بالقبعة المصورة؛ فهي كبيرة الحجم ومزدانة بالأشرطة والرياش والترتر الأزرق القاتم.

قال ثورنديك: "لا بد أن القبعة كانت تميل إلى الجانب الأيسر على رأس الضحية نظرا لموقع الثقب".

وافقت على ذلك: "نعم.. على طريقة الدوقات الألمانيات"

"بالضبط".

وهز القبعة فتناثر قليل من الترتر على راحة يده، ثم أعاد القبعة إلى مكانها، بينما أسقط دوائر الترتر الزرقاء اللامعة إلى ظرف وضعه في جيبه، ثم اقترب من الطاولة وكشف الغطاء قليلا عن وجه المرأة القتيلة، ونظر إليها بشفقة عميقة.

كان وجها جميلا أبيض كالرخام هادئا مسالم التعابير مغمض العينين مكللا بهالة من الشعر الأشقر، لكن هذا الجمال اختل بوجود جرح طويل وتهشم على الخد الأيمن ممتد من العين حتى الذقن.

علق ثورنديك: "فتاة وسيمة، شعر كستنائي رائع، ترى لماذا عاملته بالأكسجين هكذا" ورد الشعر عن الجبين مضيفا: "يبدو أنها فعلت ذلك منذ عشرة أيام مضت لأنه قد تكشف مقدار إنش من الشعر القاتم.. ما رأيك بهذا الجرح على الخد؟"

"يبدو أنها ارتطمت بشيء صلب أثناء سقوطها على أن نوعية المقاعد في عربات الدرجة الأولى لا تفسر وجود مثل هذا الشيء."

"لا، والآن دعنا ننظر إلى الجرح الآخر.. سجل الوصف لو سمحت"

وناولني دفتر ملاحظاته وأخذت أكتب ما يمليه علي.

"ثقب مدور في الجمجمة على ارتفاع إنش إلى خلف الأذن اليسرى بقطر قدره إنش، أعشار الإنش تكسر العظم، واختراق عميق للدماغ يمتد هذا الجرح الخطير إلى حجاج العين اليسرى، وفي نهايته

تهشم وتفتت بسيط.. هذا يكفي الآن، وسيزودنا الدكتور مورتن بتفاصيل أخرى إذا احتجنا لذلك"

ثم جمع أدواته الدقيقة، وأودعها جيبه والتقط من العظم المتهشم شعرتين شائبتين وضعهما في ظرف مع قطع الترتر الأزرق اللامع. وبعد بحثه في الجثة عن جروح أخرى ولم يجد أي شيء أعاد الغطاء إلى موضعه واستعد للمغادرة. وبينما نحن نبتعد عن المشرحة كان ثورنديك شارد الذهن وصامتا مما دفعني للاعتقاد أنه يحاول أن يجمع الحقائق.

ثم قال وهو ينظر حوله بطريقه الحاذقة المنتبهة: "لقد نسيت أن أضع مرارة الثور في حقيبتي"

فصحت بتعجب: "مرارة ثور.. ماذا ستفعل بـ..."

لكني توقفت هنا متذكرا كم يكره صديقي أن أشرح أساليبه أمام الغرباء، فقال ستوب فورد: "يمكنك الحصول عليها من القصاب هناك حانوت عبر الطريق".

فوافق ثورنديك ملاحظا الحانوت: "نعم هناك.. يجب أن تحضر المرارة بالطبع، وإلا فعلينا استخراجها من ثور حي إذا كان لدى القصاب سنحاول على أية حال"

وعبرنا الطريق إلى حانوت كتب عليه "فيلتون" بأحرف مضيئة؛ فعرّف ثورنديك بنفسه وبما يريد؛ فهتف القصاب: "مرارة ثور؟.. كلا

سيدي ليس لدي شيء من هذا القبيل حاليا، ولكن إن كان الأمر على قدر كبير من الأهمية يمكنني أن أذبح لكم ثورا الآن".

قال ثورنديك: "ذلك لطف منك، لكن يهمني أن يكون الحيوان في صحة جيدة"

"إنهم في حالة ممتازة يا سيدي.. لقد انتقيتها من القطيع بنفسي يمكنك رؤيتهم واختيار ما تريد"

فقال ثورنديك: "حقا إنك لطيف، سأسرع بإحضار قارورة من الصيدلي المجاور وأعود لتلبية عرضك الكريم".

وهرع إلى الصيدلية ليخرج منها بعد لحظات حاملا طردا صغيرا أبيض، ثم تبعنا جميعا القصاب إلى حظيرة مجاورة للحانوت، وهناك كان ثلاثة ثيران ذوات منظر حسن وقد أدخلت رؤوسها في غلالات سوداء ولم يظهر إلا القرون القوية المستقيمة تقريبا ذات اللون الرمادي المغبر.

قال ثورنديك: "إن هذا الحيوانات جيدة يا سيد فيلتون وبحالة ممتازة أيضا"، ثم انحنى إلى الأمام وتأمل الحيوانات بعين فاحصة، وخاصة قرونها، ثم دنا من أقربها ورفع عصاه وضرب برفق على قمة وجانبي القرن الأيمن، ثم فعل الشيء نفسه مع الأيسر، ولكن الحيوان نظر إليه بدهشة بليدة.

شرح ثورنديك وهو ينتقل إلى الحيوان الآخر: "إن حالة القرن تنبئ عن صحة الحيوان إلى حد ما"

فضحك السيد فيلتون: "ليباركك الله يا سيدي.. لكنها لا تشعر بقرونها"

ويبدو أنه علي حق؛ فالثور الثاني لم يبد أي إحساس تجاه الضربات، ولكن عندما اقترب ثورنديك من الثور الثالث اقتربت لا شعوريا لأراقب، فلاحظت أنه عندما هوت عصا على القرن تراجع الحيوان إلى الخلف بذعر، وعندما تكررت الضربة اضطرب كليا. قال القصاب:

"يبدو أنه يجب ذلك.. أوه إنه أمر سخيف!"

وما أن لامست العصا القرن الأيسر حتلا قفز متراجعا إلى الخلف وهو يخور هازا رأسه. فقال القصاب: "لا أظن أن هناك خلل ما بهذا الحيوان يا سيد؟"

أجاب ثورنديك: "لا أستطيع القول قبل الفحص أكثر، فقد يكون الضرر في القرن فقط، إذا استطعت اقتلاعه من الرأس وإرساله إلي في الفندق فسأفحصه واخبرك، وحتى لا يحصل أي التباس فسأقوم بتغطيته فلا يتأثر بعملية الذبح أيضا".

فتح الطرد الصغير وأخرج قطعة قماش وقارورة مفلطحة كتب عليها "مرارة الثور" وشمع لاصق. سلم القارورة إلى السيد فيلتون وقام بتغطية القرن بالقماش ثم ثبتها بالشمع اللاصق.

قال السيد فيلتون: "سأقتلع القرن وأحضره إلى الفندق بنفسي خلال نصف ساعة"

وقد كان عند قوله تماما، حيث تسلم ثورنديك القرن بعد نصف ساعة بالضبط.

كانت المنضدة أمام ثورنديك مغطاة بالصحف بينما يتمدد القرن فوقها، وأما ثورنديك فقد أخرج منظارا مكبرا وبعض الأدوات من حقيبته وأخذ يعمل.

جلس القصاب بجمود على كرسي وهو يلقي نظرات الشك والريبة على ثورنديك منتظرا تقريره بينما انغمست في حديث شيق مع ستوب فورد على أني كنت أتوق لمعرفة ما وراء تصرفات صاحبي. رأيته يثني القرن ويمرره جانب أذنه جيئة وذهابا ثم نزع شريحة من السطح وأخذ يفحصها بالعدسة المكبرة ثم التقط مادة ما من النهاية المدببة للقرن. وضع الشريحة تحت المجهر وفحصها بدقة للحظات فإذا به يستدير بحدة قائلا: "تعال يا جرفيس وانظر" فاقتربت بسرعة يملؤني الفضول وألقيت نظرة على الآلة. فسألني: "ها، ماذا وجدت؟"

"خلية عصبية متشعبة، صحيح أنها دقيقة جدا ومسحوقة ولكنها لا تُخطأ"

"هذا؟" ثم أدار الشريحة إلى موقع جديد.

"خليتان عصبيتان حيتان وأجزاء صغيرة من النسيج"

"ما نوع النسيج؟"

"أستطيع القول أنه من نسيج قشرة الدماغ"

"أتفق معك في هذا تماما، وعلى هذا الأساس".. ثم استدار إلى ستوب فورد وأضاف: "أستطيع أن أقول أن قضية الدفاع قد أنجزت مبدئيا".

فصاح ستوب فورد منفعلا: "ماذا تقصد بحق السماء؟"

"أعني أننا نعرف الآن الطريقة التي لاقت الآنسة جرانت حتفها بها.. تعال اجلس هنا وسأشرح لك.. لا داع لأن تخرج يا سيد فيلتون فقد نحتاجك".

ثم تابع: "علينا عرض الحقائق واستنتاج دلائلها. أولا موقع الجثة، حيث كانت ملقاة والقدمان بجانب الباب الجانبي مما يدل على أن المغدورة كانت تجلس أو تقف بجانب الباب ساعة مقتلها ثم هناك هذا..."

وأخرج ورقة مطوية من جيبه ثم فتحها فإذا بلمعة زرقاء وقال: "هذه قطعة ترتر من القطع التي تزين قبعتها ولدي بعضها انتزعتها من القبعة ذاتها.. أما هذه بالذات فقد التقطتها من الحافة الخارجية للنافذة الجانبية، ويدل وجودها في ذلك المكان أن الآنسة لا بد أنها مدت رأسها من النافذة.. القسم الثاني من الدليل تكشف لي عندما قمت برش إطار النافذة الجانبية بمسحوق أبيض؛ فظهرت دمعة شحمية بطول ربع إنش على الزاوية اليمنى (اليمنى من الداخل طبعا) والآن إلى الدليل الآخر الذي يوضحه وقطره بحدود الإنش وسبعة أعشار الإنش. أما على الصدغ الأيمن فهناك تهشم بطول ثلاثة إنشات، ولكن دون جروح"

"تتضح الحقائق التالية كما يلي..." والتقط القرن ونقر عليه باصبعه بينما يحدق به كل من السيد فيلتون والمحامي بتعجب صامت.. "إنه القرن الأيسر، وهو حساس جدا كما تذكرون، إذا وضع أحدكم أذنه قربه حين اهتزازه فسيسمع اهتزازا في النواة العظمية.. انظروا إلى الطرف المدبب ستجدون عليه خدوشا عميقة طويلة تغطيها بقع من الدماء الجافة، أما ذروته فعليها كمية ضئيلة من مادة جافة، وقد قمت بفحصها مع الدكتور جيرفس تحت المجهر ووجدنا أنها من أنسجة الدماغ".

أطلق ستوب فورد صيحة تعجب وانتصار: "يا الله!... هل تقصد أن..."

قاطعه ثورنديك: "دعني أنهي عرض الحقائق يا سيد ستوب فورد، والآن إذا نظرتم إلى بقعة الدم عن كثب فسترون جزءا قصيرا من شعرة ملتصقة بالقرن، وبواسطة المجهر تستطيعون تبين شعرة ذهبية، لكن قرب الجذور تكون كستنائية، ثم أخرج ظرفا من جيبه قائلا: "في هذا الظرف قليل من الشعر المأخوذ من رأس المرأة المقتولة ذات لون الشعر أشقر كستنائي قرب الجذر، وأخيرا إليكم هذا.."

وقلب القرن مشيرا إلى بقعة صغيرة من الدم الجاف وقد غرست فيها لمعة زرقاء.. حدّق القصاب والمحامي بالقرن بدهشة صامتة، وأخذ الثاني نفسا عميقا، ونظر إلى ثورنديك: "لا شك أنك وجدت تفسيرا لهذا اللغز، غير أنني ما زلت متحيرا بالنسبة لي حتى الآن".

أجاب ثورنديك: "بعد هذا فالأمر بسيط جدا سأعرض نظريتي القائمة على هذه الحقائق وستحكم بنفسك".

ورسم بعض الخطوط على صفحة أمامه وأكمل: "هذا هو الوضع لدى اقتراب القطار من ولد هورست؛ فهنا عربة المسافرين، وهنا الأكوام المحترقة، وهنا عربة شحن الدواب حيث كان هذا الثور والآن هذه هي نظريتي؛ ففي الوقت الذي كانت قبعتها الواسعة مائلة إلى الجانب الأيسر مما حجب عنها رؤية قاطرة الدواب المقتربة ثم حدث الآتي..."

وخط بضعة رسوم أخرى وقال: "كان أحد الثيران – الذي بين يدينا – يمد قرنه الطويل عبر القضبان، ارتطم القرن برأس الضحية من الجهة اليمني فسبب اصطدام الرأس بزاوية النافذة بعنف فأصيب القرن بخدوش وارتجت الأجزاء في نوبة من شدة الصدمة.. هذه النظرة مدعمة بالحقائق التي بين يدينا والتي لا تفسح مجالا لتوقعات أخرى"

بقي المحامي ذاهلا برهة ثم نهض وأمسك بيد ثورنديك بحرارة: "لا أعرف كيف أشكرك لكنك أنقذت حياة أخي، وأدعو الله أن يجزيك خيرا!"

أما القصاب فقد نهض من كرسيه بتثاقل، وقال: "يبدو لي يا سيد أن مرارة الثور تلك لم تكن سوي شرك، ها؟"

فابتسم ثورنديك ابتسامة مبهمة.. عدنا في اليوم التالي إلى البلدة لحضور مأدبة لأربعة أشخاص على رأسهم السيد هارولد ستوب فورد.

بعد أن صدر قرار هيئة المحكمة "الموت قضاء وقدر" تم إطلاق سراح الفنان وهو يجلس الآن بجانب أخيه ليستمع باهتمام شديد إلى تحليل ثورنديك للقضية. وأخيرا سأل هارولد: "ألم تشك في براءتي أبدا؟".. ابتسم ثورنديك لموكله السابق: "ليس بعد أن اطلعت على صندوق الألوان واللوحة الخاصة بك"

الحل السعيد

ريموند إلين

(نشرت لأول مرة عام ١٩١٦م)

بدت حقيبة السفر خفيفة كالريشة في يد كينث وال القوية، وهو يغادر المحطة ولكنها أخذت تزداد ثقلا بصورة عامة كلما تقدم في سيره. كان عليه أن يقطع نصف ميل ليصل إلى المنزل الريفي للورد كارت

ما أن وطأ الرواق حتى ألقى بالحقيبة على الأرض، وهو يشعر ببعض الراحة في يده المتشنجة.. قرع الجرس، ثم انتظر دقائق ليفتح بعدها اللورد كارت الباب بنفسه، تهلل وجه اللورد قال مرحبا: "أهلا يا ولدي العزيز.. ادخل.. إنني سعيد لرؤيتك وأتمنى لك عيد ميلاد بهيج".

لقد كانت عشية عيد الميلاد وكان وجهه يطفح باللطف الملائم لتلك المناسبة "إنني أقوم بعمل البواب والخادم وكل شيء في هذه اللحظة، فقد صرفت كل الخدم إلى الدعوة المفتوحة بمناسبة عيد الميلاد التي تقام في مدرسة القرية، ثم أغلقت الباب، كذلك خرجت زوجتي والعمة بلاكستير، وتسأل كينث بلهفة: "آه، ونورا؟"

فأجاب اللورد بتربيتة ودية على كتف كينث: "آه، نورا!" ثم أردف: "نورا الشخص الوحيد المهم طبعا ومعك حق بذلك لقد بقيت نورا لترسل لك المزيد من بطاقات عيد الميلاد وأتوقع أنها في غرفتها.. أرسلت لك

بعض البطاقات وهي الآن في حقيبة الرسائل فقد قلت في رسالتك الأخيرة أنك لن تأتي"

"نعم لقد ظننت أنني لن أستطيع الإفلات، ولكن قلب الرئيس رق لي اليوم وقال: أنه سيتدبر أمره دون وجودي حتى بعد غد؛ لذلك اندفعت للحاق بقطار الثانية والربع ولحقت به بأعجوبة".

فأضاف العجوز بمكر: "وها أنت كالأمير السعيد لخائبة الأمل نورا... ولنا"

وعلق كينث بابتسامة واثقة من الإجابة: "أرجو أن تستحسن خطيبتي"

أجاب كارت: "أرى يا عزيزي كينث وبإخلاص أنها جميلة ولطيفة معنا ونحن سعداء بدعوتها هنا فغناؤها متعة كبيرة لنا" وتردد قليلا ثم أضاف: "لكن يجب أن تغفر لنا نحن العجائز إذ نرى أن الخطبة لا معنى لها، فكما قالت العمة بلاكستر اليوم لن تستطيع معرفة الفتاة جيدة بمعاشرتها لفترة بسيطة كما أنك لا تعرف شيئا عن أهلها".

امتعض كينث في سره من العمة بلاكستر لمزاجها النكد إلا أنه لم يتفوه بذلك.

تابع اللورد: "سنبحث في أمرك هذا فيما بعد، أما الآن تعال إلى المكتبة فأنا على وشك إنهاء دور شطرنج مع السير جيمس وينسلاد ثم نرى بعدها أين تختبئ الآنسة نورا"

ثم توقف عند طاولة تقف في الممر بين الردهة والمكتبة، وتناول سلسلة مفاتيح من جيبه قائلا: "أرسلت لك رسالة، لذا فليس هناك ضرر أن أعطيها لك"

وفتح قفل الحقيبة الخاصة بالرسائل، ثم أخرج رزمة منها على المنضدة، وأخذ يبحث بين الأوراق إلى أن التقط رسالة كتب عليها "كينث دال – بناء ٣١ – شارع فالي لندن" قال: "ها هي"، ثم أرجع الباقي إلى الحقيبة وأعاد إقفالها.

"ضعها في جيبك وتعال معي فلا بد أن السير جيمس يظن أنني لن أعود أبدا"

وتأخر بضعة دقائق أخرى للسماح للخدم العائدين بالدخول، ثم أمر أحدهم أن يرسل الحقيبة إلى مكتب البريد.

وفي المكتبة كان السير جيمس وينسلاد جالسا إلي طاولة الشطرنج بينما يراقب جورني السكرتير الخاص لكارت وهو رجل ممتلئ البنية متجهم الهيئة ذو عينين ذكيتين يراقب اللعبة عن كثب. رد السكرتير تحية كينث بعداوة نسبيا والتفت إلى كارت:

"هل أرسلت الحقيبة إلى مكتب البريد".

"نعم هل ترغب بإرسال شيء"

أجاب جورني: "كان علي أن أرسل بطاقة، لكنها ليست بذات شان"

ثم جلس جانب اللاعبين ثانية.

كانت الحجارة السود من حظ كارت، وكان واضحا أنه يلاقي بعض الصعوبة، وأن اللعبة ستنتهي بعد بضعة حركات.

قال كارت: "لا أرى أي مخرج لهذا الوضع.. ستطيح بي في الحركة القادمة بالوزير أو بالفيل.. على كل لقد انتهيت، وسلم لنا لعبتك"

علق جورني: "ربح الموفق سير جيمس".

سأل وينسلاد: "لماذا هو موفق؟ ألم تخبرنا أن كلينا عنده مقومات الربح؟"

أجاب جورني: "نعم.. فقد كان بإمكانه أن يكسب اللعبة كما توضح الأحجار الآن"

ثم أردف كلامه بتحريك بعض الأحجار ثم أعادها إلى الوضع السابق.

استمر جورني في التحديق برقعة الشطرنج، بينما انعكس على وجهه تعبير الحاذق وكأنه وجد نقطة مهمة في وضع الأحجار، ولم يعط كينثت لتعليق السكرتير أي اهمية إلا بعد مضي ساعة؛ فقد قال جورني معلقا على اللعبة: "كان اللعب مضطربا فيه روح واندفاع من كلا الطرفين"

فعلى سبيل المثال تخلى اللورد عن فيله مقابل لا شيء وعندما أعطيته الخيار ليأخذ وزيرك بأحد الجنديين الواقفين على جانبي الفيل السادس للوزير.."

واستدار إلى كارت: "من الأفضل لو أطحت بالوزير بالجندي لا بالقلعة"

أجاب كينث: "أقر أني سأدخل في ورطة كيفما لعبت تعالوا الآن لنحتسي بعض الشاي"

وانتهز كينث الفرصة ليحظى بلقاء خاص مع نورا التي ظل وجهها موردا من الفرحة باللقاء غير المتوقع حتى بعد دخولهم إلى غرفة الجلوس للانضمام إلى الحاضرين.

وبعد تناول الشاي اصطحب السير جيمس السكرتير إلى غرفة التدخين، والتفت كارت إلى نورا: "عليك أن تغني أحد أناشيد عيد الميلاد التي وعدتني بها، ثم تنفردين بعدها مع خطيبك في المكتبة لتتحدثا في شؤونكم الخاصة، فأنا أعرف أنكما تتوقان للتخلص من صحبة العجائز"

علقت العمة بلاكستر بامتعاض: "شكرا لك لتسميتنا بالعجائز أنا وزوجتك".

احتار اللورد، لكن نورا باشرت بالعزف، وارتفع صوتها يصدح بأغنية صاخبة قبل أن تسعفه الذاكرة برد مناسب.

وطالب الجميع بأنشودة ثانية يشترك فيها الجميع، وأثناء أدائها أخرج كينث الرسالة من جيبه، وكان يفتح المعطف عندما نهضت نورا عن البيانو وتعرفت على خطها فصاحت محذرة وقد اصطبغت وجنتاها بالاحمرار: "احذر كينث لا تدع شيئا يسقط"

بعد تلقيه التحذير قام كينث بإخراج الرسالة بحذق ولكن حذره في عدم إسقاط خصلة من الشعر البني والتي تخجل المحبوبة من عرضها أمام أعين الاخرين لم يمنع كينث من إسقاط قطعة من الورق طارت من الرسالة وتتبعتها الأعين إلى أن استقرت على الأرض، إنها شيك بألف جنيه.

نظر كينث إلى نورا بتساؤل، لكنه لم يحظى بأي شيء، ثم إلى اللورد كارت، فالاحتمال الوحيد الذي طرأ على ذهنه أن يكون هبة من اللورد تحت تأثير نوبة الكرم المصاحبة للعيد عادة، إلا أن تعبير اللورد لم يدل على أنه فعل مثل هذه الهفوة؛ فقد ارتجفت يداه وهو يضع نظارته ليقارن الورقة بدفتر الشيكات التي في جيبه، وكان هو أول من قطع الصمت المتجهم: "إن هذا من أكثر الأشياء غرابة، فهذا الشيك وضعته في مغلف الصليب الأحمر هذا المساء كهدية عيد ميلاد وقد عرضته عليكن يا سيدات في فترة الإفطار"

نظر كل منهم إلى الآخر باحثا عن تفسير إلى أن استقرت الأعين على نورا باعتبارها الشخص المتوقع أن يقدم تفسيرا"

بدا كارت مرتبكا وتململت العمة بشك، وهي ترى الفتاة صامتة وقد شحب لونها فعلقت: "إن نورا هي الشخص الطبيعي الذي عليه أن يقدم تفسيرا للأمر لأن الشيك وجد في رسالتها"

أجابت نورا: "ليست لدي أدنى فكرة عن كيفية وصول الشيك إلى رسالتي وكل ما أستطيع قوله أنني لم أضعه فيها ولم أره منذ الإفطار حتى اللحظة التي سقط فيها من الرسالة قبل لحظات"

قالت العمة بلاكستر بجفاء: "غريب جدا"

أما كينث فقد التفت إلى العمة، وقال بحرارة: "إنك لا تعني أن نورا قد سرقت الشيك طبعا!"

فصاح كارت: "يا سادتي الأعزاء حافظوا على هدوء أعصابكم، فلا نرغب بأي مشهد بغيض"

لكن كينث ما زال مشتعلا: "إذا كانت نورا هي التي وضعت هذا الشيك، فلا بد أنها أشارت إليه في الرسالة.. أعتقد أنكم ستقبلون بكلمتي أنها لم تفعل"

فطلبت نورا عندها: "اقرأها يا كينث، فقد تفترض الآنسة بلاكستر أنني أشرت إلى الشيك"

ونظرت الفتاة إليها بوجه يتوقد غضبا.

قرأ كينث بصوت عال: "ملاحظة لا تدع أحدا يرى ما أرسلته لك!"

كـان هـذا يعنـي بالنسـبة لكينـث خصـلة الشـعر إلا أن الامـر تعقـد أكثر؛ فما كان منه إلا أن أخرج الخصلة للتوضيح، وشعر كينث بإحراج لا يوصف، وهو يرى تعبير نورا للآنسة بلاكستر حتى أنه نظر بامتنان إلى السيدة كارت عندما غيرت الموضوع بسؤال زوجها: "كم مضى على وصول السيد جورني لهذا المكان؟"

بـدا كـارت مصـدوما: "يـا عزيزتـي يجـب ألا نقـوم بـأي تخمينـات عشوائية في هذا الأمر.. فما الدافع الذي يجعل جورني يضع الشيك في رسالة نورا إذا أراد سرقته؟ إضافة إلى أن شهادتي تبرؤه"

سـأل كينـث: "هـل تسـمح بإخبارنـا.. مـاذا فعلـت بالشـيك بعـد الإفطار؟"

رد كارت: "سأقول بالضبط بعد الإفطار وضعته في كتاب الجيب الذي أحتفظ به دائما في جيبي حتى هذا المساء، وأثناء لعبة الشطرنج تذكرت أنه يجب إرسال حقيبة الرسائل في وقت مبكر أكثر من المعتاد، فوضعت الشيك في مظروف الصليب الأحمر مع العنوان المطلوب وألصقته، ثم وضعته في الحقيبة عدت إلى المكتبة، واستغربت للحركة التي قام بها السير وينسلاد، فقد كان يقدم لي الوزير مقابل لا شيء وفي اللحظة نفسها تذكرت أن نورا ربما تكون قد وضعت رسائلها في الحقيبة، لذلك علي أن أقفلها فورا خوفا من النسيان، فيما بعد نظرت إلى رقعة الشطرنج للحظات، ثم وقفت وذهبت إلى الحقيبة حيث وجدت أن نورا وضعت رسائلها فأقفلتها وعدت للحصول على وزير وينسلاد"

علقت السيدة كارت: "لكن لا أرى كيف يكون السيد جورني بعيدا عن الشبهات كما قلت؟"

"لماذا يا عزيزتي؟.. إذا كان جورني قد أخذ الشيك من أحد المظروفين ووضعه في الآخر، فيجب أن يتم ذلك في غضون اللحظات القليلة التي فارقت الحقيبة فيها دون إغلاقها بينما في هذا الوقت كان جورني يراقب اللعبة فلا يمكن ان يكون هو الفاعل"

سأل كينث: "هل كان في المكتبة طوال فترة اللعب كلها؟".

أجاب كارت: "لا أجزم بذلك، لكني أوكد أنه لم يخرج أو يدخل طوال فترة وقوفي متأملا حركة وينسلاد، ولا بد أن يكون جورني موجودا عندما عرض وينسلاد وزيره ونظرت إليه لأنه علق على هذه الحركات بعد انتهاء اللعبة، واقترح بأنه كان يتحتم علي أخذه بالجندي الآخر، لقد سمعته بنفسك"

أجاب كينث: "نعم.. إلا أن صوتا كان هناك يشبه انتزاع قفل".

رد كارت: "يؤكد الصناع أنه لا يمكن فعل هذا مع هذا النوع من الأقفال والمفتاح الأساسي لم يفارق جيبي ولا يمكن أن يكون لديه نسخة عنه هذا إذا وجد وقتا لذلك".

تهدج صوت نورا وهي تقول: "باختصار يا لورد كارت فإنك تظن أن الشبهات محيطة بالشخص الآخر، عدا السير جيمس الموجود في المنزل، وليس أمامي الرد عليها إلا بكلمة لا"

صاح كينث: "لا يمكن أن تحوم حولك أية شبهة".. شكرت نورا مؤازرها بنظرة امتنان.

تابع كينث: "إن السيدة كارت محقة تماما، وأنا مستعد لحرق نفسي إذا لم يكن ذلك الثعبان جورني وراء الأمر أحضروه هنا، وانظروا إلى تعابير وجهه كيف تدل على الإثم فور دعوتي إياه بالسارق"

صاح كارت بانفعال: "لا بحق السماء سوف يكون مشهدا مؤلما فلا مجال للشكوك الهوجاء" اقترح الارسال في طلب الشرطة المحلية.

وقال: "إنني أرفض كليا إبداء أية شكوك حول أي شخص تحت هذا السقف كائنا من كان، ولا بد أن أفترض حتى تثبت الحقيقة نهاية الأمر أن شخصا من الخارج وبدوافع شريرة دخل إلى البيت وفعل هذا، على أية حال وباعتباري رب البيت؛ فأنا أتحمل مسؤولية الكشف عن الفاعل من قبل السلطات المحلية".

سألت السيدة كارت: "ماذا تعني بالسلطات المحلية؟.. لا أعتقد أن الشرطة المحلية كانت على درجة من الذكاء عندما سرق كليبي؟"

ونظر الحيوان الأليف القابع عند قدمي السيدة كارت إلى أعلى لدى سماعه اسمه، بينما تابع كارت: "سأتصل باسكوتلانديارد إذا كان شابلاند موجودا فانأ متاكد من قدومه حالا وفي أقل من ساعتين، وحتى يحضر أرجو من الجميع عدم التفوه بكلمة حول الموضوع في هذه الغرفة"

قالت العمة بلاكستر: "تصرف حكيم ولا بد أن يتحمل الفاعل عاقبة إثمه في النهاية"

التفت كارت إلى نورا وقال برقة لم يعهدها بنفسه: "إنني لا أشك أبدا بقدرة شابلاند على كشف خفايا الأمر بنجاح، وأثناء ذلك يا فتاتي العزيزة سنكون معا في القارب نفسه، فليس هناك دليل على أني وضعت الشيك في ظرف الصليب الأحمر وليس في ظرفك".

انهارت نورا أمام رقته وطفرت الدموع من عينيها فأخذها كينث إلى المكتبة.

"عبثا يظنون أني سارقة.. سارقة وعلنا!"

"هراء لا يمكن أن يصدق أحد هذا الهراء يا فتاتي الحبيبة"

"تلك العمة الفظيعة فعلت" ثم جلست في المقعد وبدأت تهدأ بينما أخذ كين يطوف الغرفة مفكرا وغاضبا.

"لقد سررت أن سارعت إلى نجدتي يا كين، وكذلك العزيز اللورد كارت"

أجاب: "إنه عجوز سخيف وطيب على أية حال فهو يمتلك من المال أكثر مما يعرف ما يفعل به فهو يطوح بشيك بألف جنيه في بريد عيد ميلاد ليضيع وسط آلاف البطاقات والتهاني السعيدة!"

وقطع عليها الحديث دخول جورني. ابتدر حديثه باعتذار عما شاهد من تعبير عدم الارتياح علي وجهيهما: "لم آت للجلوس، بل أريد منكما معروفا بسيطا.. أنني أتناقش مع السير جيمس عن كيفية معرفة الشخصية عن طريق خطبها وعبارة صغيرة تكفي"

أخذ كينث ورقة من دفتر ملاحظات على المنضدة وكتب: "ليس كل ما يبرق ذهبا"، ثم أضافت نورا في الأسفل "فرخ البط عوام" فهذه الطريقة هي الأسرع للتخلص من وجوده.

نظر جورني إلى الورقة بعدم رضى: "أفضل شيئا مكتوبا بتأن؛ فغالبا ما يكتب الناس بصورة غير طبيعية عندما يعرفون أنه لهدف محدد.. أليس لديكم نوع آخر من الكتابة على مظروف قديم مثلا أو شيء من هذا القبيل؟"

لم يعطه أحد ما طلب لذلك تراجع خائبا أمله.

علق كينث: "أشك في الهدف الحقيقي لمجيئه فهو سريع البديهة.. ألم تر كيف عرف؟ استرعت انتباهه الحركة الخاطئة في الشطرنج مع أنها ليست واضحة".

كانت رقعة الشطرنج ملقاة على المنضدة كما تركها كارت قبل تناول الشاي نظر إليها مفكرا في البداية ثم باهتمام متزايدا رفع أحد القطع وفحصها ثم كرر الأمر مع البقية وعكس أسلوبه انفعال متزايد. سالت نورا: "ما الأمر؟"

تراخى في مقعده: "مجرد بصيص ضوء أريد أن أفكر، أفكر أكثر من أي وقت في حياتي"

ثم مال إلى الأمام واضعا رأسه بين يديه، وانتظرت نورا بصمت إلى أن رفع رأسه:

"نعم بدأت أرى الضوء أكثر من بصيص.. يا له من ماكر هذا الجورني.. أوه ماكر جدا"

وابتسم بسعادة من اكتشف مكيدة محبوكة ومعقدة الخيوط؛ فأخذ يتأملها بشيء من الإعجاب للذكاء الذي حيكت به: "هل تريدين معرفة ماذا كان يريد حقا عندما جاء قبل قليل؟"

أجابت: "كثيرا، ولكن هل تعني أنه ليس هناك أي نقاش مع السير جيمس؟"

"أوه أؤكد أنه رتب أمر المناقشة تماما، لكن ما يريده حقا هو هذا"

أخرج من جيبه المظروف الذي اكتشف الشيك بداخله.

"إن حيلة معرفة الشخصية من الكتابة ليست إلا ضربة محكمة للحصول على هذا، بل ربما كانت فرصته الوحيدة، لكن لا يا صديقي جورني لن تحصل على المظروف حتى لو دفعت الألف جنيها التي كانت بداخله!"

رجته نورا : "أوضح يا كين"

رد: "سأفعل حالا غير أنني أريد نسج الخيوط مع بعضها بعضا فهناك صعوبة أخرى"

نظر إلى الأرض ثانية وأخذ يفكر بصوت عال من أجلها.

"إن حجة كارت بوجوب وجود جورني هنا مراقبا للعب أثناء الفرصة الوحيدة التي تركت الحقيبة فيها مفتوحة أنه عرف الحركة التي لعبت في النهاية، ولكن لماذا لا يكون قد سأل السير جيمس عنها أثناء انشغال كارت بفتح الباب لي؟ إن هذا سيحل المعضلة.. أفترض أن وينسلاد كان تواقا للحديث عن اللعبة في غياب خصمه سأذهب وأساله ولا حاجة لتسويغ سؤالي".

عاد بعد لحظات: "لا لم يكن هناك أي حوار عن اللعبة عند غياب كارت.. حسنا جدا سأحاول بطريقة أخرى.. لنفرض كما أعتقد، وسأثبت أن جورني قام بتبديل الرسالتين والسؤال الذي يطرح نفسه كيف عرف إذا الحركتين في الشطرنج؟".

أخذ رقعة الشطرنج ثانية، ونظر إليها بإمعان طويلا حتى فقدت نورا الصبر: "ماذا تفعل يا عزيزي محدقا كل هذا الوقت بالشطرنج؟"

"لدي مشكلة مستعصية وعلي أن أحلها قبل ذلك الشرلوك هولمز الذي سيأتي من اسكوتلانديارد.. انظري إذا كانت هناك وسيلة عرف بها جورني الحركتين الملعوبتين دون أن يكون موجودا أو أن يخبره أحد، سيصبح حجة كارت دون جدوى.. أليس كذلك؟"

"صحيح، ولكن ما هي الوسيلة؟ هل تلصص من النافذة مثلا؟".

"أظن أنها وسيلة أذكى من ذلك أعتقد أني سأثبت أن بمقدوره معرفة الحركتين الملعوبتين دون مساعدة أحد من طريقة توضع الأحجار في نهاية اللعبة أي كما هم الآن" ثم انحنى ثانية على الرقعة: "يلعب الأبيض وزيرا مقابل فيل في الخانة السادسة لم تمس والأسود أخذ الوزير بجندي القلعة.. هاتان هما الحركتان".

ظلت نورا تراقب بصمت وطاعة وجه كينث، وهو يتلون بالانفعال وبتعابير الفهم والحيرة معا مدة نصف ساعة وأخيرا أغلق علبة الشطرنج وهو متحير بشدة.

تساءلت نورا: "ألا يستطيع معرفة الحركتين في النهاية"

أجاب: "لا هناك احتمال مساو أن تكون القلعة لا أستطيع تجميع الخيوط فكلما عثرت علي بعضها لا أجد بعضها الآخر" ثم أضاف فجاة "بالله أتساءل إذا كان كارت قد فعلها؟"

وهم بالخروج في اللحظة التي دخل فيها الخادم ليطلب منهما على لسان السيد كارت القدوم إلى مكتبه.

كان الجميع الموجودون في الغرفة هم الذين شهدوا في غرفة الجلوس اكتشاف الشيك إضافة إلي شابلاند المفتش في سكوتلانديارد كما قدمه السيد كارت الجالس على رأس المنضدة بينما جلس شابلاند إلى جانبه بوجه خال من التعابير إلا أن عينيه كانتا تطوفان من وجه إلى

وجه. جلس كينث ونورا في المقعدين الفارغين وحالما أغلق الباب سأل كينث كارت: "عندما لعبت الشطرنج مع السير جيمس هذا المساء هل أعطاك أحقية تحريك القلعة؟"

نظر الجميع – عدا نورا – باستغراب لتفاهة السؤال. وعلقت على ذلك العمة بلاكستر: "أعتقد أن هذا ليس وقتا مناسبا لمثل هذه الأسئلة السخيفة"

أجاب كارت: "أعترف أني لا أفهم مغزى سؤالك.. في الواقع أعطاني الأحقية"

هتف كينث بانتصار "شكرا لله" مما أثار علامة الاهتمام على وجه شابلاند؛ فعلق بقوله

"أحب أن أسمع وجهة نظر السيد دال ما دام السيد كارت قد أدخلني في القضية، لدي ما يبرر اتهامي لسكرتير اللورد جورني وأفضل أن يسمع ذلك بنفسه"

فقاطعه اللورد : "لا داعي لذلك فنحن لا نريد أي مشهد بغيض قدر الإمكان"

تابع كينث: "حسنا.. إنني أتهم جورني بسرقة شيك الألف جنيه من مظروف الصليب الأحمر ووضعه في المظروف الموجه لي، أتهمه باستخدام حبر سري من النوع البطئ الذي يظهر بعدة ساعات فيشطب عنواني ويستبدله بعنوان آخر خاص به"

تدخل شابلاند قائلا: "كن حذرا يا سيد دال فأنت تدعي شيئا خطيرا، ولا بد أنك على دليل قوي"

فتح كينث رقعة الشطرنج وقال: "انظر إلى تلك البقع على الأحجار، لم تكن موجودة عند انتهاء اللعبة، ولكم تكن بهذا الوضوح قبل ساعة.. إن هذه الأحجار تثبت قطعا أن جورني قد أمسك بها لمعرفة الحركتين الملعوبتين، وإلا فكيف وصل إليهما الحبر السري إذا لم يكن من أصابع جورني؟"

ثم أخرج مظروف رسالة نورا من جيبه وما أن وجه النظر إليه، حتى ندت عنه صيحة ظفر وسلمه إلى شابلاند: "بدأ الحبر السري بالظهور هنا ايضا ويبدو أن مفعوله على الورق أبطأ من على الاحجار المطلية".

صحح شابلاند عبارته: "إن الاختلاف في التعرض للهواء، كان المغلف في جيبك وسنتركه الآن علي المنضدة قليلا لنعرف فيم إذا كانت تحرياتك ذات جدوى، ولكن إذا كان جورني هو الفاعل كيف تفسر وجوده في المكتبة في الوقت الوحيد الممكن لاقتراف الجريمة فيه؟"

أجاب كينث: "بدحض هذا القول فما الدليل علي وجوده فعلا في المكتبة في ذلك الوقت المحدد؟" فسأله شابلاند: "إذا كيف أمكنه معرفة الحركتين الملعوبتين في ذلك الوقت؟"

أشار كينث ثانية إلى رقعة الشطرنج: "من كيف توضع الأحجار في نهاية اللعبة ها هي سأبرهن على أنه من وضع الأحجار فقط، وبمعرفة أن السير جيمس أعطى أولوية تحريك القلعة لكارت يمكن معرفة أن الأحجار البيضاء قد لعبت – أثناء اللعبة – وزيرا مقابل فيل في الخانة السادسة إلا أنها لم تظفر بشي فلا بد أن الأحجار السوداء قد أخذت الوزير بجندي القلعة (الذي تحرك في البداية) إذا أريتكم الخطوات العكسية التي فكر فيها جورني بذكاء لمعرفة أن على اللورد كارت أن يربح اللعبة عندما ظنها خاسرة".

لحسن الحظ كان المفتش ملما بالشطرنج إلى حد يمكنه من متابعة خطوات كينث.

أضاف كينث: "لا أعتقد أنه خطط لسير اللعبة بل مجرد فكرت طرأت على ذهنه السريع لدى مشاهدته لوضع الأحجار في نهاية اللعبة ودليله كان يستند عليه الحبر السري وكان هذا ناجحا لو لم يأت بشكل غير متوقع وأخذ رسالة نورا".

عندما كان يشرح كينث الفقرة الأخيرة من رأيه تناول شابلاند المظروف ثانية وقد ظهرت الكتابة بتعرضها للهواء بشكل واضح ولو أنها باهتة حيث أمكن قراءة اسم ورقم الشارع فقط ثم اسم ورقم آخر ثانوي.. سلم المفتش المظروف إلى كارت: "هل تستطيع التعرف إلى الخط يا لورد؟"

وضع كارت نظارته الطبية وفحصه: "لا أستطيع الجزم بشيء لكنه ليس خط جورني" ثم أظهر مظروفا آخر من جيبه موجها له من قبل جورني وأشار إلى الاختلاف بين الكتابتين. ألقت نورا نظرة قلقة على كينث بينما نظرت العمة بلاكستر نظرة حانقة على نورا ولم تظهر على المفتش أية دهشة:

"لا تكترث يا لورد.. أعتقد أنه سيتوضح كل شيء إذا دعوت جورني إلى هنا، ولا داعي أن تخشى أية مواقف".

وقد أضاف الجملة الاخيرة وعلى شفتيه طيف ابتسامة.

قرع اللورد الجرس، ثم أخبر الخادم أن يحضر جورني إلى الغرفة.

"لقد استدعي السيد جورني منذ ساعة يا سيدي فقد طلب بشكل عاجل لرؤية جدته التي تحتضر".

فتمتم اللورد: "يا للمسكين! وفي عيد الميلاد ايضا!"

بينما ظهرت ابتسامة عريضة على وجه المفتش. وقال:

"لقد توقعت أكثر فعندما تعرفت على الخط الموجود على المظروف رأيت أنه يجب إحضار ذلك السيد بنفسه الذي تعرفونه باسم جورني أنه رجل معروف لنا في يارد بأكثر من اسم وأكثر من خط، والآن عثرنا لحسن الحظ على أثر حديث له، وأعدك بأني سأتعقبه فورا إذا تلطف اللورد ووضع سيارته وهاتفه تحت تصرفي"

سـأل اللـورد: "لكنـك سـتبقى للعشـاء.. سـيكون جـاهزا خـلال لحظات"

"أعتذر بشدة يا سيدي اللورد لكن السيد دال قد قام بعملي على أكمل وجه وبطريقة يفخر بها كل رجل في يارد أما أنا فعلي تعقب المجرم على الأثر ولا داعي لإزعاجك بهذا الموضوع ثانية فسوف تقرأ التفاصيل في الصحف"

قال اللورد: "حسنا.. أعتقد أننا يجب أن نهنئ أنفسنا للتخلص من هـذا الأمـر دون مشـاهد بغيضـة، وسـيكون باسـتطاعتنا الآن التمتـع بعيـد الميلاد، وسأعوده بالحل السعيد.. السعيد جدا"

وتورد وجهه من الارتياح والمزاج الحسن بينما أخرج دفتر الجيب وقدمه إلى نورا:

"ياعزيزتي.. أرجـو أن تقبلي اعتـذار رجـل عجـوز لمـا سـببه لـك مـن أمسية مزعجة ويجب أن تقبلي هذا أيضا.."

"لا. لن أقبل، وسيكون الوضع أكثر أمانا لإرسال شيك إلى الصليب الأحمر".

أصل المتاعب

هيدلي باركر

(نشرت لأول مرة عام ١٩٢٥م)

كان من المؤلم لهيربرت داوليش، الاعتراف أنه لو لم يكن النادل خاملا لما اضطر لارتكاب جريمة قتل. لم يكن أمام داوليش إلا عشر دقائق، وكان يشعر بالجوع الشديد فدلف إلى المقهى وطلب كوبا من الشاي مع قليل من الكعك المحلي.. تماطل النادل بينما أخذ داوليش يتململ بفارغ الصبر، وخلال خمس دقائق قام بخلع ولبس ساعته عشر مرات، وأخيرا وصل الشاي والكعك فالتهمها خلال دقيقتين، ثم هرع ليلحق بالقطار المتوجه نحو هيرن باي.

عندما اندفع إلى الرصيف كان القطار قد بدأ بالتحرك التوت شفتاه بامتعاض وهو يفكر أنه لن يصل إلى الحانة ولن يقابل الساحليين ويلعب بورق اللعب معهم.

أخذ القطار يزيد في سرعته تدريجيا فأمسك داوليش حقيبته بقوة ثم ركض مصمما على اللحاق بالقطار على أية حال فقد وفق بقفزة كبيرة (وسط صرخات المستخدمين في القطار) للوصول إلى سلم إحدى العربات المتطرفة تثبث (بالدرابزين) لحظة وبعد أن استعاد توازنه فتح الباب وألقى بثقله على أحد المقاعد.

تفحص الرجل الجالس أمامه هيربرت داوليش بعناية لقد كان من النوع المبهرج بدبوس ذهبي على رابطة العنق، وحذاء مدبب..

قال الرجل كلمات تناسب هذه المناسبة عن الخطر الذي تعرض له داوليش بتلك القفزة ثم سرد عليه قصة أحد المتسولين الذي لم يسعفه الحظ كما حدث مع هيربرت وسقط تحت عجلات القطار. "لقد كان منظرا مرعبا لا أرغب برؤيته ثانية"

حدق هيربرت الذي كان بعيدا عن نية القتل بُعد المريخ عن الأرض، حدق بضحيته لم يكن يحب الأغبياء، وهذا الرجل قبالته يبدو تافها، إلا أنه عندما عرض عليه اللعب بالورق معه وافق بحماس.

"لدي مجموعة كاملة" عندما أدخل يده في جيبه اصطدمت بشيء صلب جعله يبتسم ثم قال مازحا وهو يضع مسدسا أوتوماتيكيا على المنضدة: "لا تخف فأنا لست بقناص.. لقد اشتريت هذا المسدس اليوم.. إنني أنتمي إلى نادي هيرن باي كما ترى، وقد يقيم دورة تدريب على الرماية رياضة ممتعة!"

فأومأ الآخر قال: "هل تسمح؟" ثم التقط السلاح وفحصه بعيني خبير "نوع ممتاز وملقم أيضا!"

"نعم.. لقد اشتريت بعض الطلقات معه، إنه آمن، والزناد مرفوع، والآن.. هل نلعب؟ هل تعرف لعبة ستة وستين؟ إنها مناسبة لاثنين"

"حسنا لقد اعتاد يارس لعبها مع جيمي في..."

"هل تسمح بالتوزيع؟"

وأمسك هيربرت داوليش بالأوراق يتمتم: "ماذا عن الرهان؟"

"أوه خمس ضربات في كل مرة"

دهش داوليش، لقد كان هذا أكثر مما اعتاد عليه، لكنه ظن أنه قادر على المواجهة، ثم قسم الأوراق إلى رزم من ثلاث واثنتين وبدأ اللعب. لقد اتضح فورا لداوليش أن رفيقه في اللعب ذا الدبوس الذهبي متمكن من اللعب فقد كانت له تلك الطريقة البارعة في عد الأوراق وتوزيعها حيث أخذ يدخلها ببعضها بعضا، ويقلبها بيديه بعد ذلك لعق إبهاميه وطارت الأوراق بين أصابعه كشعلة ضوء.

دفع داوليش خمسا – عشرا – خمس عشر – خمسا وثلاثين – خمسين.. لقد خسر ستة جنيهات وأربد وجهه متجهما، ثم شد عزيمته بجرعة من قارورة في جيبه، وأطبق أسنانه بقوة وركز بكآبة..

قبل أن يصل القطار إلى كاثام بفترة طويلة، كانت تلك الستة جنيهات قد أصبحت ستا وأربعين، كان داوليش يقامر بجنون ليعوض خسارته.. قبض الخوف قلبه – لقد خسر كثيرا – أكثر مما يستطيع أن يتحمل، وما زال النهار في أوله، وهو مدعو ليقابل آخرين.. فكيف يفعل بجيوب خاوية.

تراجع داوليش إلى الخلف عند السبعين جنيها، ومسح العرق المتفصد عن جبينه بيده المرتعشة.. كان شاحب الوجه ولم يعد يسيطر

على زاوية فمه المرتجفة، لقد كان في حالة يرثى لها قطعا. تمتم قائلا: "أخشى أنني لن أستطيع الاستمرار؛ فلقد خسرت كل قرش"

توقف الرجل البارع عن التصفير في منتصف اللحن ليقول: "حقا؟ حظ سيء أيها الصديق، إلا أنها لعبة جيدة على كل حال.. أليس كذلك؟"

قال داوليش بذل: "اسمع... أنا... إنه طلب سخيف لكن!.. هل يمكنك أن ترد لي النقود؟ أعني لفترة وجيزة، وسأعيدها لك فيما بعد.. لكن الآن.. لا.. أنا.. أنا.."

حدق الرجل البارع بداوليش بدهشة وازدراء ثم انفجر مقهقها: "حسنا.. هذا ممتع، سأذكر ذلك لمدبرة البيت عند عودتي، وستبكي لأجلك.. لا يا صاحبي لست من أنصار الرحمة".

استعطف هيربرت بقوة: "دعني أشرح لك.. لم تفهم ما أريده.. أنا فقط..."

"أوه.. دعنا من هذا الهراء جانبا.. هاي! ماذا.."

أمر داوليش: "ارفع يديك"

ونظر إليه نظرات حانقة من خلف المسدس: "إلى أعلى أكثر!"

وحتى تلك اللحظة لم يكن في نفس داوليش أية نية لارتكاب الجريمة، أراد فقط أن يجبر الرجل على رد النقود.. لقد كان محموما،

ولـم يكـن ليجـرؤ علـى مواجهـة زوجتـه بمثـل هـذا الخبـر خسـارة سـبعين جنيهـا، لكـن تظل الأسـلحة النارية شيئا خطيرا لا يمكـن اللعب بـه؛ فقد ضـاقت عينـا الرجـل البـارع وقـام بحركـة مفاجئـة، فـأغمض داولـيش عينيـه وضغط على الزناد.

كـان المـوت سـريعا ومفاجئـا؛ ففـي جـزء مـن الثانيـة وجـد داولـيش نفسه مع جثة وقد تركت على الجبين حفرة زرقاء عميقة أخذت تنزف على الأرض.

سيطر داوليش على نفسه بجهد وأخذ يفكر بطرق للخلاص.

كان على وشك أن يقذف بالجثة من العربة حين وقعت عيناه على ساعة يـد تعطلـت ودفعـه إلهـام مفـاجئ لتغييـر الـزمن الـذي تشـير إليـه إلـى الخامسـة والنصـف، وهكـذا سيظن مـن يراهـا أن الجريمـة حـدثت فـي ذلـك الوقت (إلا إذا وجدت الجثة مباشرة) أي في الحالة المبكرة للقطار.

بعد ذلك فتح الباب ونظر حوله بتوفز ثم رمى ما تبقى من الرجل البارع..

لقي داوليش أصدقاءه من المباحث في سكوتلاندیارد – في البلدة وحيا هيربـرت داوليش بصيحات صـاخبة كالعادة بصحبة رجلين معه (فقد كان الرجال الأربعة يلعبون بورق اللعب يوميا في الرحلات منذ عشر سنين)

صاح فينز: "تعال هنا يا وباء الورق أين كنت البارحة بالمناسبة؟"

قال داوليش: "البارحة.. هل تتحرون عن الجريمة التي نشرت في الصحف؟ تلك التي حدثت في الخامسة والنصف"

أومأ سميث الذي كان يتفحص رزمة أوراق اللعب الخاصة بداوليش: "يا للتعس لقد تهشم وجهه تماما كما يقال.. هل تعرف عن هذا يا فينر أكثر مما تقوله الصحف؟"

ابتسم فينز بهدوء: "إنني أعرف الكثير إلا أن البوح غير مسموح به، لقد شاهدت الجثة بعد ساعتين أو ثلاثة من الجريمة، لقد أحضروني من هيرن بالسرعة القصوى"

قال سميث: "يبدو أنك قد فقدت آس المتاعب من مجموعتك يا صديقي داوليش"

كان سميث يدعو الآس السباتي بآس المتاعب لأن السباتي يرمز للمتاعب في اصطلاح العرافة.. قال داوليش: "أعتقد أنه في جيبي"

لكنه تعرض لمتاعب التفتيش من قبل فيبر الذي بدا فجاة مغتما هو يخرج بطاقة من جيبه. وقال: "لا.. ها هو إذا لم أخطئ" ووضع الآس السباتي على المنضدة

هتف سميث: "نعم إنه هو يا للسماء أين وجدته أيها الثعلب العجوز؟"

استدار فيبر إلى داوليش، ونظر إليه ثم وضع يده على ذراعه، وقال "داوليش إن هذا يؤلمني ألما شديد الجمر، لكن علي التنفيذ إنك معتقل؛ فقد وجدنا الآس السباتي في كم الرجل الم

الفهرس